

الكوكب الزاهر ، على نسيم حاجر

تأليف

العلامة التحرير

السيد أحمد بن أبي بكر بن شميطة العلوي الحسني

عفي عنه

م

ويليه له

منهج الفضائل ، ومعراج الأفاضل

وشرح صيغة صلاة

للعارف بالله علي بن محمد الحبشي

عفي عنه

مَطْبَعَةُ الْمَلَكِي

الطبعة الأولى

بالقاهرة

١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من نور قلوب العارفين بأنوار المعرفة واليقين ،
وأناز معالم الحق لطالبيه السالكين ، وخص بخصائص القرب
أهل العناية والتمكين ، واجتبي إليه من شاء من عباده المفلحين :
الذين جعلوا الود الأسنى لهم شعارا ، والمحبة القصوى لهم دئارا ؛
حتى هيمهم الكمال ، وتيمهم الجمال - قوم عبدوا الله بخالص الطوية ،
ووقفوا بكمال الآداب على بساط العبودية ، ورشفوا من شراب
الاقتراب كؤوساً روية ، فأضحت قلوبهم ملقى الأنوار والمعارف ،
ومرقى الأسرار واللطائف .

ولولاهم بين الأنام لدكدكت جبال وأرض بارتكاب الخطية
نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلاله ، ونشكره شكراً
يوجب المزيد من إفضاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الديان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المبعوث بأظهر الأديان . أشرف الحقيقة الإنسانية ومنتقاها ،
ومظهر الأسماء العظيمة ومجلاها . اللهم صل وسلم على هذا الرسول
الأكمل ، وعلى آله وصحبه السراة الكامل .

(أما بعد) - فقد حصلت مذاكرة بيني وبين من حظته في العلم
موفور ، وسعيه فيه إن شاء الله مشكور . بقية أولى الفطرة الزكية .
والسيرة السوية ، أخينا في الله ، عبد الله بن محمد بن سالم ابن قاضي
با كثير ، سلك الله بنا وبه مسالك أهل الرشاد ، وأدخلنا وإياه
في كنف أهل المحبة والوداد . وذلك فيما انطوت عليه أرجوزة (١)
سيدى قطب الإرشاد ، عبد الله بن علوى بن محمد الحداد ، المحتوية
على الإشارات الدقيقة ، في سلك عباراتها الرقيقة . فأطلقت
جواد الفكر في مضمار تلك الدقائق ، وسرحت النظر في رياض
تلك الرقائق ، ريثما لاح لى من أفق البيان إيماض بارق . ثم عن
لى وضع ما ظهر لى فى هذه الوريقات ، سائلا من المولى ومبتهلا
إليه : أن يجعله من الحسنات . ولم أثبت معنى إلا بعد مراجعة
كلام القوم فى مؤلفاتهم ، وإمعان النظر فى عباراتهم واصطلاحاتهم ،
فما وجدته صواباً فهو مستمد من كلامهم ، وما وجدته خلافاً فهو
من فهمى القاصر ، وذهنى الفاتر . على أن المعانى تتنوع فى طى
الإشارات ، عند نشر العبارات .

وللشيخ عبد الغنى النابلسى نفع الله به :
كلامنا غير ما تعطى العبارات من المعانى لنا فيه إشارات
بنفسه قائم وهو المجرد عن لفظ ومعنى معاً وهو الإشارات

(١) فى الأصل : « انطوى على أرجوزة » وما أثبتناه هو الصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من نور قلوب العارفين بأنوار المعرفة واليقين ،
وأناز معالم الحق لطالبيه السالكين ، وخص بخصائص القرب
أهل العناية والتمكين ، واجتبي إليه من شاء من عباده المفلاحين :
الذين جعلوا الود الأسنى لهم شعاراً ، والمحبة القصوى لهم دثاراً ؛
حتى هيمهم الكمال ، وتيمهم الجمال - قوم عبدوا الله بخالص الطوية ،
ووقفوا بكمال الآداب على بساط العبودية ، ورشفوا من شراب
الاقتراب كؤوساً روية ، فأضحت قلوبهم ملقى الأنوار والمعارف ،
ومرقى الأسرار واللطائف .

ولولا هم بين الأنام لكدكت جبال وأرض بارتكاب الخطية
نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلاله ، ونشكره شكراً
يوجب المزيد من إفضاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الديان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المبعوث بأظهر الأديان . أشرف الحقيقة الإنسانية ومنتقاها ،
ومظهر الأسماء العظيمة ومجلاها . اللهم صل وسلم على هذا الرسول
الأكمل ، وعلى آله وصحبه السراة الكامل .

هما الكشيفان والسر اللطيف له
 كالروح يظهر من نفس ومن جسد
 فلا تظن بأنى إن وصفت حلى
 أو إن ذكرت نسبا هب من جهة
 كذلك البرق والأطالال أذكرها
 لا والذي جل عما للعقول بدا
 كلام أهل طريق الله سر هدى
 عن المراد له التجريد مخطئة
 لم يدره ذو انتقاد فى تعنته
 فيعرب اللفظ للمعنى فيفهمه
 ومقصد القوم نور فى القلوب سرى
 رموز أسرار قوم تستعد له
 روائح القوم شمتها بصائرهم
 لهم نظمنا المعانى يلمحون بها
 والله المستول فى إصلاح النية ، وبلوغ الأمنية ، وحسن
 التوجه إليه قبل حلول المنية ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(واعلم) - أن هذه المنظومة من الأراجيز المزدوجة ، التى

(١) فى الأصل : « هى » وما أثبتناه هو الصواب .

نظم العلماء منها فنون العلم ، كالخلاصة ، والجوهرة ، والبهجة ،
ولهذا البحر (أعنى الرجز) أضرب وأعريض ، وغير ذلك مما
يتعلق بالعروض . وقد ذكر ذلك العروضيون مفصلاً . ولا تنزن
هذه المنظومة إلا بتسكين بعض الحروف المتحركة .

ولنشرع في المقصود ، بعون القادر المعبود .

* * *

قال الحبيب نفعتنا الله به ، وأذاقنا من حلاوة مشربه :

﴿ نسيم حاجر يا نسيم حاجر ﴾ هل من خبر تشفى به الخواطر
﴿ عن جيرة الحى الذى تجاوز ﴾ فالشوق قد أربى على السرائر

(قوله : نسيم حاجر) منادى مضاف بحذف حرف النداء ،
و « حاجر » هو موضع بطريق مكة . والنداء إنما يكون للمميز ؛
أما نداء غيره كالنسيم هنا فعلى سبيل المجاز ، تشبيهاً له بالمميز .
(قوله : تشفى به الخواطر) . . جملة نعتية لخبر ؛ فهى فى محل جر .
والحى : البطن من بطون العرب ؛ جمعه أحياء . ومفعول « تجاوز » ،
ضمير محذوف ؛ والتقدير تجاوزه . (وقوله فالشوق) : مبتدأ خبره
الجملة الماضية .

[المعنى] : يانسيم حاجر هل من خبر تشفى بسببه خواطر
المحبين ، تبثه عن جيرة الحى الذى تجاوزه ؛ لأن الشوق قد أربى

وزاد على السرائر (١) فلا يطاق كتمانها ، والشوق والاشتياق كما في
الصحاح : نزاع النفس إلى الشيء ؛ وقد جاء في السنة « وأسألك
النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك » .

وفي البيت الأول براعة الاستهلال ، لأن فيه إشارة إلى أن
المقصود بهذا النظم هو سيد الوجود ، وإمام أهل الشهود .
صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والخوض المورود ،
صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله الركن السجود - حيث ذكر فيه
« حاجر » الذي هو موضع بطريق مكة ، وهذا نمط ما دحبه
صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يفتتحون غالباً مدائحهم صلى الله عليه
وسلم بذكر الجهات الحجازية ، كذي سلم ، وإضم ، ورامة ،
وطويلع . ويطرحون التغزل بذكر الغواني والأغاني ، إذ هو
الآليق بهذا المقام الشريف ، والقدر العالی المنيف كما ذكره
النايلسى ، ويرشد إليه قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضهم بعضاً ﴾ وخص الناظم النسيم الحاجرى بالدعاء لما
ينشأ من ذكر الحبيب عند هبوبه ، لأن المحب دائماً يتفكر في
محاسن محبوبه ، ويتسلى بذكره وبآثاره ، كما قال بعضهم :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومشواك في قلبي فكيف تغيب
فإذا هب النسيم من جهة موضعه تخيل أنه حمل رائحته إليه ،

(١) السرائر : جمع سريرة ، وهى السر الذى يكتم ، والمراد موضعه وهو القلب

فوصفه حينئذ بالشذا أو غيره ، فيتمخيل عرف (١) المحبوب .

وللناظم نفعنا الله به في التائية الكبرى :

بعثت لجيران العقيق تحيتي وأودعتها ريح الصباحين هبت
سحيراً وقد مرت على فركت فؤادي كتحريلك الغصون الرطبية
وأهدت لروحي نفحة عنبرية من الحى فاشتات لقرب الأحبة
ألا ترى إلى قول نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تفندون﴾ قال المفسرون : أوصلته الصبا من
مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أيام ، وقيل عشرة ، وقيل شهر .
ولهذا أكثر الشعراء من ذكر الصبا في أشعارهم . وهذا يدلن
المحبين ، ومنهج المستهترين (٢) وللشيخ عبد الغنى النابلسي نفع الله به
في حلقة هذا المجال ، ومجرى هذا المنوال :

أحن لو مضى البرق من جهة الحمى وأشتاق إن هبت على النسائم
ثم إن المعنى فى بطن الشاعر ، لكن تظهره قرائن الأحوال ،
وهى محكمة فى المجال .

* * *

قال الجيب نفع الله به :

(١) العرف - بفتح فسكون - الرائحة .

(٢) بفتح التائين أى المولعين بالمحسوب .

﴿ وافيت ربى يا نسيم الأسحار ﴾ من بعد ما نامت عيون الأغيار ﴿
 ﴿ عسى معك لى يا نسيم أخبار ﴾ عن الحبيب النازح المهاجر ﴿
 قوله : (يا نسيم الأسحار) هو بنقل الحركة للوزن ، وكذا
 قوله : (عيون الأغيار) بنقل الحركة . وكاف الخطاب فى قوله :
 (معك) ساكنة ، وراء الروى فى الأربعة المواضع أيضا ساكنة
 للوزن . والربع : منزل القوم . ووافى فعل ماض بمعنى أتى .
 والأسحار : جمع سحر ، وهو قبيل الصبح . والأغيار : جمع غير ،
 وهى أحداث الدهر وأحواله عند أهل اللغة (١) . وأما عند أهل
 الله فمعناها - وهو المراد هنا - ظلمات تحدث فى القلب ، وتحول
 بينه وبين شهود المولى والحضور معه . وسببها غالباً الأوصاف المذمومة
 القائمة بالعبد ، فإذا زالت وحل محلها الأوصاف الحمودة أشرق
 القلب . وأصل هذا الإشراق من نور الإيمان . وإشراق كل قلب
 بحسب قوة الإيمان وضعفه ، إذ هو عند أهل السنة والجماعة يزيد
 وينقص بكثرة الطاعات ونقصانها ، والدليل على ذلك قوله تعالى :
 ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ وهو ظاهر ، إذ هو
 تصديق القلب ، وليس تصديق المقلد كتصديق العارف بالدليل ،

(١) فى لسان العرب : « الأغيار » جمع غير (بفتح أوله) بمعنى السوى .
 ويطلق الغير اسماً على التغير والتحول . والغير (بكسر ففتح) اسم من تغير الحال ،
 أو جمع غيرة . وغير الدهر : أحواله المتغيرة . فتأمل عبارة الشارح .

وهو ليس كتصديق المراقب ، وهو ليس كتصديق المشاهد ، وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله .

وهذا في غير الأنبياء ، وأما هم فيزيد إيمانهم ولا ينقص .

وللنور المذكور علامة ، وهي كما في الحديث : التجافي عن دار الغرور ، والإقامة إلى دار الخلود ،

وفي البيت استعارة ممكنة تخيلية ترشيحية ، حيث شبه الأغيار برقباء ذوى عيون بجامع القطع في كل فإنهما قاطعان ، أعنى الأغيار والرقباء عن بلوغ المآرب . وأثبت لهذه الأغيار عيوناً على سبيل التخييل ، وذكر النوم ترشيحاً ، هذا على مذهب السكاكي . وأما على مذهب القوم : فالاستعارة هنا تبعية تصرّحية كما يفهم ذلك من له إلمام بفن البيان .

ثم إن أهل هذا المقام قد يكون بالنسيم عما تحمله الروح من العلوم والمعارف الإلهية والحقائق الربانية ، كما يفهم ذلك من كلام النابلسي ، ولعل ذلك هو المراد هنا .

ثم إن الناظم نفع الله به خص السحر ، لأنه وقت التجليات الإلهية للمؤمنين ، والفتح الرباني على السالكين . وصرح بعضهم أنه كناية عن أوائلها ، وفي هذا الوقت تستجاب الدعوات ، وتنزل البركات لمن وفقه الله من أهل الرغبات . وإنما كان هذا الوقت مخصوصاً بما ذكر لأنه وقت غفلة واستغراق نوم ولذة ، ومفارقة

تلك اللذة تصعب سيما على أهل الرفاهية . فمن أثر القيام لمناجاته
 دل على خلوص نيته ، وصحة رغبته فيما عند ربه ، فكان حقيقاً
 بالإجابة . وتختلف الإجابة في البعض إما للخلل في الداعي أو في
 الدعاء . قال بعض العارفين : ما من ليلة إلا وينزل من السماء في
 الثلث الأخير فتوح رباني ، فيلتقطه أهل التسليم ، ثم أهل التفويض
 ثم تقع الإفاضة من هؤلاء على أصحاب الدوائر العالية أقطاب
 الأفلاك الكونية ، ثم تقع منهم على الحفظة والنواب ، ثم منهم على
 المسلمين والصالحين والعلماء العاملين بمن حضر الباب ، فإن الهدية لمن
 حضر .. قال : وأما النائمون في الثلث الأخير فنصيبتهم عند أحد الرجال
 الخمس (يعني رجال الصلوات الخمس) المقيضين على أهلها إمدادها ،
 والموكل بصلاة الصبح يأخذ لكل من غاب نصيبه ويؤديه له عند
 صلاة الصبح ، إما قبل فراغه منها أو معه . ومن تخلف عن اليقظة
 عند صلاة الصبح أعطى نصيبه في أسبابه الدنيوية إذا رضى بإقامة
 الله له فيها ، انتهى من شرح ورد السحر للعلامة عمر الشبراوي .
 وبالجملة - فقيام الليل من أقرب الوسائل إلى حصول المآمل . ومن
 جملة أدوية القلب الخمسة التي نظمها بعضهم (١) بقوله :

دواء قلبك خمس عند قسوته قدُم عليها تفُز بالخير والظفر
 خلاه بطن وقرآنٌ تدبره كذا تضرع بك ساحة السحر

(١) هو الإمام النووي؛ كما في شرح تائبة السلوك للشرنوبلي .

كذا قيامك جنح الليل أوسطه وأن تجالس أهل الخير والخير
وإنما كان قيام الليل من الأدوية النافعة للقلب لما تقرر ، ولأنه
دأب الصالحين ، وقد أمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بذلك
فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلِ قُمْ لِلَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ والمراد - كما قاله
المفسرون - : قم للصلاة والعبادة ، وإنما كان التضرع في السحر
من الأدوية لما تقدم أنه وقت التجليات ، ولأنه وقت إجابة للدعاء
كما تقدم . وبالقُرآن ينشرح الصدر للإيمان ، ويستنير الباطن مع
مراعاة الآداب ، ويحصل من الفضائل والفوائد الدنيوية والآخروية
ما لا يحصر إذا كان في هذا الوقت . وقد حصل لكثير من أهل
النور فتوح بسبب التلاوة في هذا الوقت مع الإخلاص . وفي
خلاء البطن راحة القلب ، لا سيما إذا اقترن بذلك غذاء الروح
الذي هو الذكر . ومن فوائده خفة البدن للعبادات ، وفي الحديث
«الجوع من العبادة» (١) ووردت فيه أخبار وأحاديث، وأما مجالسة
الصالحين فإنها تورث الاقتداء بهم في الأقوال والأفعال والأحوال
وبها يستفيد الإنسان ويزداد صلاحا ، إذ المرء على دين خليله كما في
الخبر . فالصالحون : هم القوم الكرام الذين لا يشقى جليسهم
ولا يضام . وفي معنى مجالستهم مطالعة الكتب المؤلفة في سيرهم
المرضية المشتملة على مزاياهم ، وإكثار النظر في مؤلفاتهم المعربة

(١) كذا بالأصل؛ ولا نعرفه حديثا ، والوارد : « الدعاء من العبادة »

وفي الإحياء : حديث « قلة الطعام هي العبادة » اهـ .

عن علومهم . ولقد أجاد سيدنا الناظم نفع الله به حيث قال
في منظومته الرائية :

إذا فاتني قرب الأحبة واللقا ففي ذكرهم أنس لو حشة خاطري
فإن أحاديث الأحبة تمرهم لقلبي من الداء العضال المخامر (١)
(قوله : عن الحبيب) المراد به سيد الأولين والآخرين ،
وحبيب رب العالمين ، خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين . وقد اختص صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين « بحبيب الله » بحيث لا ينصرف هذا الاسم إلى غيره عند
الإطلاق في كلام أهل الإشارة ، إذ يجب أن يكون حبيبا عقلا
ونقلا ، فتسميته به على وجه استحقاقه لدلوله . ووجوب محبته
نما لا يحتاج إلى إقامة دليل ، وفي الحديث : « أحبوا الله لما يغذوكم
من نعمه ، وأحبوني لحب الله » وفي الخبر المشهور : « ألا وأنا
حبيب الله ولا نخر » ومختار أهل السنة والجماعة أن أسماءه صلى الله
عليه وسلم توقيفية ، أى تتوقف على ورودها في الكتاب أو السنة .
قال العلماء : إن ظاهر الخبر المذكور يدل على أن المحبة
أتم من الخلطة ، لأن سياق الفضائل التي أوتيها صلى الله عليه وسلم
يدل على أن كل ما ذكر له أتم فضلا من كل ما ذكر لغيره . وقد
اختص بالمحبة كما اشتهر إبراهيم عليه السلام بالخلطة ؛ فدل على أن

(١) في الديوان البيت الأول هنا مؤخر عن الثاني وبينهما بيت ؛ فليراجع .

الحبة أفضل ، لأن صاحبها أفضل . والفرق بين الحبيب والخليل — كما قال النيسابورى — : أن الخليل هو الذى امتحنه الله ثم أحبه ، والحبيب الذى أحبه الله ابتداء تفضلا ، والخليل الذى جعل ما يملكه فداء خليفه ، والحبيب الذى جعل المولى بملكته فداءه ، وبهذا المعنى أيضا يكون الحبيب أفضل من الخليل ، قال البرعى رحمه الله :

إذا ذكر الخليل فذا حبيب عليه الله فى التوراة أثنى

وقال البوصيرى فى لاميته :

أعلى المراتب عند الله رتبته واعلم فما موضع المحبوب مجهول
وهذا الاسم (أغنى حبيبا) على وزن فعيل بمعنى فاعل ،
ويجىء بمعنى مفعول ، ويصلح المعنيان فيه هنا ، فعلى الأول هو ،
صلى الله عليه وسلم محب لربه ولأوليائه ، وعلى الثانى محبوب لربه
ولأوليائه .

(قوله : النازح المهاجر) هما نعتان للحبيب ، أى الذى
هاجر من مكة إلى المدينة المنورة ودفن بها ، وقد هاجر إليها
أصحابه كما هاجر ، رضى الله تعالى عنهم .

قال الحبيب نفع الله به :

﴿حَبِّ الْأَحِبَّةِ فِي الْفُؤَادِ خَيْمٌ لَا، بَلْ جَرَى مِنِّي مَجَارَى الدَّمِ﴾
﴿وَكَلَّمَا بَرَقَ الْحَمَى تَبَسَّمَ فَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ فِي الْحَاجِرِ﴾

قوله : (الأحبة) بتشديد الباء وبالهاء لا بالتاء لأجل النظم ،
وميم الروى ساكنة ، وكذا الراء في (الحاجر) . وقصده رضى الله
عنه إخباره بصدق حبه للأحبة حتى كأنه خيم في الفؤاد لشدة
تمككه وثبوته . وللأديب أبي بكر بن حجة الحموى في مدحه
صلى الله عليه وسلم ما يقرب من هذا المعنى ، أو هو بعينه حيث قال :
فيا عرب الوادى المنيع حجابهُ وأعبى به قلبى الذى فيه خيموا
قوله (لا بل جرى منى مجارى الدم) هو بنصب الياء في (مجارى
الدم) والمعنى : جرى حب الأحبة فى المجرى الذى يجرى فيه الدم
لشدة ثبوته ، فكأنه امتزج بالأعضاء ، وسرى فيها سريان الماء
فى العود الأخضر ، وهذا هو الحب الجبلى الذى لا يحصل بتكلف .
وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض قدس الله سره فقال :

جرى حبها بجرى دمي فى مفاصلى فأصبح لى عن كل شيء بها شغل
قوله : (وكلما برق الحمى تبسم) المراد بالحمى : حمى المحبوب ،
أى كلما مر البرق من حماه فاضت دموعى ، وذلك لما ينشأ بمعاينته
من التذكر ؛ فإيماض البرق من جهة المحبوب سبب للتذكر الموحب
للبكاء والإفراط فيه ، كما قيل :

تذكرت أياماً لنا وليالياً مضت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوماً من الدهر أوبة وهل لي إلى أرض الحبيب رجوع
ثم لا يخفى على من خاض في علم التوحيد أن الأسماء كلها إذا
أطلقت على الله وعلى غيره لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً ،
وأن كل ما يستحيل معناه في حق المولى من الصفات يراد به
غايته ، كالرحمة فإن معناها رقة في القلب ، فيراد بها في حقه تعالى
غايته وهي الإنعام . وكذا الصبور فإنه من الصبر الذي هو حبس
النفس على المشاق ، فيفسر في حقه تعالى بالذي لا يعجل بالعقوبة
على من عصاه ، وبذلك يعلم أن محبة الله لعبده لا يراد بها معناها
الذي هو الميل والود للمحبوب ، لاستحالة ذلك في حقه تعالى .
وقد اختلف علماء الشرع في معناها في حق الله تعالى ، فمنهم من
ردها إلى صفة الفعل ، ومعناها حينئذ : إنعامه وإحسانه تعالى على
عبده ومنهم من حملها على إرادة الإنعام على عبده أي انعام بدرجة
رفيعة كحفظه وتقريبه . وأما بالنسبة للعبد فمحبة لله سبحانه وتعالى
انقياده وإذعانه لطاعته وابتغاء مرضاته ، وأن لا يفعل ما يوجب
سخطه وعقابه ، ولذا قال بعضهم .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بدع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
وفي التنزيل : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قيل :

الضمير لأهل اليمن نزلت فيهم الآية ، لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال : « قوم هذا ، وقيل الفرس ، لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم ، فضرب يده على عاتق سلمان وقال : « هذا وذووه ، أفاده البيضاوي . أما عند أهل الأحوال فمحبتهم لله من الوجدانيات التي تلتطف وتدق عن التعبير عنها - تنشأ عن تخلص الروح من الأعراض المكدره ، وعن فناء النفس عن الحظوظ والعلل والأغراض ، وقد ذكرها التستري^(١) في رسالته . ونص عبارته : وأما محبة العبد لله فحالة يجدها من قلبه تلتطف عن العبارة ، أي لا يمكن التعبير عنها بلفظ غير لفظ المحبة ، قال : وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وإيثار رضاه ، وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه ، وعدم القرار من دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه . وليست محبة العبد له متضمنة ميلا ولا اختطاطا ، أي كونه في خط يحيط به - انتهى ما أردت نقله .

ثم إن أسبابها كثيرة ، وهي إما علمية أو عملية . أما العلمية فسكاليقين والفكر في دوام آلائه تعالى وإنعامه على عبده ، والصفح والإكرام واللطاف بغفران الذنوب ، والإنعام والتوفيق لصالح

(١) التستري : أبو محمد سهل بن عبد الله ، أحد أئمة الصولية ؛ توفي سنة ٢٨٣ هـ . وتستر (بضم فسكون ففتح) : بلدة من كور الأهواز من خوزستان . ١٠ هـ

الأعمال ، وإصلاح النيات وحسن العمل ، بأن يشهد أن الله تعالى هو الفاعل له ، وأن العبد محل لظهور ذلك فقط . فالحق سبحانه وتعالى هو الذى أنشأ صور الأعمال ، قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ والأعمال وإن كانت منفية عن العبد من جهة الاستقلال والخلق - فهي تنسب إليه من حيث الكسب ، وتضاف إليه لأنه محل ظهورها قال تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾ ومن هذه الحيثية يثاب العبد ويعاقب على فعله . واعتقاد غير هذا مخالفة للحق الذى عليه السواد الأعظم من المسلمين ، كاعتقاد الجبرية القائلين : إن العبد ليس له كسب ، بل هو مجبور . وهذا من أدق مباحث علم الكلام وأعظمها خطراً لمن لا ينظر إلى هذين المقامين ، ولذلك قال الجنيد قدس سره : إياك أن تقف فى حضرة شهود الفعل لله وحده دون عباده فتقع فى مهواة من التلف ! ولا ترى لك مع ذلك قط ذنباً فتهلك مع المالكين ! وليحذر من يقف على غالب كلام الصوفية ورقائقهم التى تشير إلى نسبة الأفعال إلى الله سبحانه وتعالى أن يظن بأن مرادهم الجبر الظاهرى لما يفهم منه ظاهراً ، وحاشاهم من الجبر الظاهرى ! لكن هؤلاء غلب فيهم شهود الحق ، فلا يرون لأنفسهم عملاً ، ولا يعيبون لأحد فعلاً ، لأنه من حيث صدوره من الله تعالى حميد ، كما قال بعض العارفين :

إذا مارأيتَ اللهَ لكلِّ فاعلا وجدتَ جميعَ الكائنات ملاحا
وإن لم ترى إلا مظاهِرَ صنعهِ حُجِبَت فصَيَّرَت القباح ملاحا
[ومن أسباب المحبة] - ، عدم الاعتماد على العمل ، وهكذا
شأن العارفين الكاملين ، فإنهم لا يرون لأنفسهم عملا ألبتة
يعتمدون عليه ، لأن ذلك يوقع في الخلل لمنافاة رؤية التقصير
التي هي من أنفع الأشياء عند أهل الله الذين يرون أنهم مقصرون
مع منة الله الجسيمة عليهم ، التي أعظمها نعمة الإيجاد والإمداد .
ومن أهل هذا المقام سيدنا الناظم نفصنا الله به ، وكثيراً ما يشير
إلى رؤية التقصير وشهود المنة في كلامه المنظوم والمشور ، ومنه
منظومته البائية التي جمع فيها رؤية التقصير واستشعار الخوف
والرجاء ، كما يظهر ذلك لمن تأمل في معانيها ، وهي قوله :

تفيضُ عيوني بالدموع السواكب ومالي لا أبكي على خير ذاهب
على العمر إذ ولَّى وحان انقضاؤه بآمال مفرور وأعمال ناكب
على غُرر الأيام لما تصرَّمت وأصبحتُ منهارهن شؤم المكاسب
على زهّرات العيش لما تساقطت بريح الأمانى والظنون السكاذب
على أشرف الأوقات لما غَبَّتْها بأسواق غَبِنَ بين لاهٍ ولاعب
على صرفى الأنفاس في غير طائل ولا نافع من فعل فضلٍ وواجبٍ
إلى أن قال مستغفرا وملتجأ وراجياً :

فاستغفر الله العظيمَ جلَّالُه وقدرته في شرقها والمغرب
إليه مآبى وهو سؤلى وملجى ولى أمل في عطفه غيرُ خائب
[ومن أسباب المحبة] - « تكلف الأعمال المظلومة بالجد
وإيقاعها على سنن الموافقة ، مع التشمير لأداء الواجبات والنوافل ،
وبها يحصل القرب للعبد إلى أن يصل إلى أقصى المقامات .
كما في الحديث .

[ومنها] - ذكر الله سبحانه وتعالى في الأسفار بلسان الافتقار ،
والتهجد في هذا الوقت والمواظبة عليه مع الإخلاص ، فإن الله
سبحانه وتعالى نفحات في الأزمنة كالأمكنة ، كما ورد : « إن الله
في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، وينبغي ملاحظة هذا الحديث
عند التعرض للنفحات في أى وقت كان .

[ومن أسباب المحبة] - الإكثار من الدعاء والابتهال امثالاً
لأمره تعالى حيث قال : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ وإظهار الفاقة
و« الدعاء من العبادة » كما في الحديث ، أى خالصها . وإنما كان محملاً
لها لأن الداعى إنما يدعو الله عند انقطاع أمله عما سواه ، وذلك
حقيقة التوحيد والإخلاص ، ولا عبادة فوقهما ، أو لما فيه من
إظهار الافتقار والتبرى من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية
واستشعار ذلة البشرية ، قال بعض العارفين :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَى آدم حين يسأل يغضب

ولا زاد لى إلا يقينى بأنهم لهم كرم يغنى الوفود عليهم
[ومن أسباب المحبة] - محاسبة النفس ، والتوبة من جميع
الذنوب ، والتوبة أول منازل السالكين ، قال سيدنا الناظم
نفع الله به :

والتوبة الخلاء أول خطوة للسالكين إلى الجلاء الأمتع
والاستغفار والرجوع إلى طاعة الله ، وإرسال المدامع حزناً
على ما فات من أوقات العمر الضائع .

[ومن أسباب المحبة] مراقبه المولى فى الحركات والسكنات .
وهذا المقام أعنى المراقبة شرط فى طريق المقربين ، وهى دوام
استحضار القلب إحاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته .

واعلم أن الأحوال المذكورة من التعظيم وإيثار رضاء ،
وغير ذلك من أحوال المحبين يدور عليها كلامهم ، فمن ذلك قول
سلطان العاشقين عمر بن الفارض قدس سره :

وتعذيبكم عذب على وجوركم على بما يقضى الهوى لكم عدل
ولبعضهم :

هجرتُ الخلق طرّاً فى رضاكا وأيتمت العيال لى أراكا
فلو قطعتنى إرباً فأرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواكا
ولسلطان العاشقين ابن الفارض :

وبما شئتَ في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا
ومن تحقق له هذا المقام لا يبت شكواه في سره ونجواه
إلا إليه تعالى لا لغيره ، وفي الحديث : « ثلاث من كنوز البر :
كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان الشكوى ، يقول الله تعالى ،
« إذا ابتليت عبدي فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحماً خيراً
من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب عليه :
وإن توفيته توفيته إلى رحمتي » اه . نعم الشكوى إليه تعالى من
الالتجاء والتضرع ، وإظهار الافتقار إليه مطلوب كما قال
أبو الصديق : (إنما أشكوا بني وحزني إلى الله) ولبعضهم :

على أى حال ردَّ قاضى الهوى الدعوى

وفي القلب سرٌّ نشره قط لا يُروى

إلى أن قال :

قد أغلق اللذات واستفتح البلى	خزانة وصل كل من رام فتحها
قبول البلاء والبعد عن موطن الشكوى	فأول ما يقضى على من يرومه
وإلا فما نيل المنى لقمة الحلوى	كذا من أراد الحب فليحتفل له

ولبعضهم :

ولا فرجاً مما أرى من بلائيا	أموت بدائي لا أصيب دوائيا
فمن دونه يرجو طبيباً مداوياً	إذا كان داء العبد حب مليكه

ومن لوازم المحبة قول بعضهم :

عين الحب بنومها لا تنعم	ترعى الدياجي والخلائق نُوم
رحل الكرى عنها فأسبل دمعها	ما في الضمير من المحبة يكتُم
يتلو الكتاب ودمعه متفرق	يذرى الدموع هو الحب المسقم
يتعلق المولى ويسأله الرضا	ويقول يا من كان عني يحلم
أيام كنت أجرُّ ذيل جهالتى	متمرداً غراً ونفسى أظلم
يا حسنه مستعتباً لحبيبه	بخضوع مشتاق ودمع يسجم
حتى إذا الليل استوى لرحيله	وخشى من الصبح المنفص يهجم
ناداه باليل المنفص قف على	أهل الهوى فمسامُ أن يرحوا
دعنى أعاتب من أحب فإنما	عتب الحب لمن يحب تنعم
يا واحدى زاد الجفاء وخاننى	صبرى وأنت محبتي لك تعلم
مولاي لا أشكو الهوى لعذابه	لكنى أخشى جوارك أحرَم
ولحجة الإسلام فى مقام الاستئناس بالفرار من الناس :	

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل	وعدت إلى محبوب أول منزل
وناديت بالأشواق مهلاً فهذه	منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلات لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد	لنسجى غزلاً فكسرت مغزلى ^(١)

(١) الرواية المحفوظة : « لغزلى نساها ... » .

وللجلى فى مقام الرضا بمراد الله :

تَلَذُّ لى الآلام إِذْ أَنْتَ مُسْقَى وَإِنْ تَمْتَحِنِىْ فِى عِنْدِ صَنَائِعِ
وقد أشار بذكر المنقطعين إلى الله ، المستأنسين بمولاهم سيدى
الناظم فى تائيدته الكبرى فقال :

ولله أقوام نأى البعض منهمو عن البعض إشاراً لمقصود خلوة
وأنساً بمولاهم وشغلاً بذكره وخدمته فى كل حين وحالة
فمنهم مقيم فى الأنام وإنه مستور عنهم تحت أستار غيرة
يراه الورى إلا القليل كغيره من الغافلين التاركين استقامة
ومنهم رحال يؤثرون سياحة وسكنى مغارات الجبال وقفرة^(١)
ومنهم رجال ظاهرهم بأمره لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة
لهم همة فى دعوة الخلق جملة إلى الله عن نصيح واطف ورحمة
أفاد الحبيب - نفع الله به - أن للأولياء فى التناى مقاصد ،
وهى الخلوة والانس بالمولى بالجمعية ، والاشتغال بذكره وخدمته ،
والمراد بها القيام بوظائف العبودية ، فكل ذلك من مقاصد الخلوة ،
وثمرتها صفاء القلوب والسرائر من كدورات العادات . وقد اختار
السادة الصوفية الخلوة وعملوا بها . لكونها وسيلة إلى تبديل

(١) هذا البيت سقط من النسخ سهواً والواجب إثباته حيث تكلم عنه
الشارح فيما يأتى .

الصفات المذمومة ، وأضافوا إليها الصمت والجوع والسر ،
وبهذه الأربع صار الأبدال أبدالاً ، قال الشاعر :

يا من يروم منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال
لا تطعن فيها فلست من أهلها إن لم تراهم على الأحوال
بيت الولاية قست أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسر الزيه العالي
وقول الحبيب نفع الله به : (فتمهم مقيم في الأنام ..) إلى
آخر البيتين ، يعنى أن من الأولياء من هو مقيم بين الأنام وهو
مستور عنهم . وقوله (يراه الورى إلخ) أى يراه الناس عامة كغيره
من الغافلين التاركين الاستقامة إلا القليل وهم أشكاله في الحقيقة
فإنهم لا يرونه كذلك . فقلوه (من الغافلين) متعلق بقوله (يراه
الورى) والحاصل : أن المولى سبحانه وتعالى سترهم بأن ألبسهم
لباس التليس بين الأنام ، فلا يعرفهم إلا لأشكالهم .

قال صاحب الحكم قدس سره : « سبحانه من ستر سر الخصوصية
بظهور سلطان البشرية » قال شارحها : سر الخصوصية ^(١) وهى

(١) سر الخصوصية : أى سرأ هو الخصوصية التى خض بها أوليائه من
المعارف والأسرار . بظهور البشرية : أى الأحوال التى تعرض للبشر ؛ فقد يكون
بعض الأولياء خواصاً مثلاً ؛ ليستر خصوصيته بهذه الصفة فلا يعرفه كثير من الناس .
ولولا هذا الستر لكان سراقته مبتذلاً غير مصون . وقد قالوا : لا بد للشمس من
سحاب . وللحساء من نقاب - اه شرنوبى على الحكم . وفيه إشارة إلى سيدى
على الخواس شيخ العارف الشعرائى .

المعارف والأسرار التي يعطيها الله لأوليائه ، ويفيضها على قلوبهم بظهور سلطان البشرية ، أى الأحوال التي تعرض للبشر ، والأمور الدنيوية التي يتعاطاها الناس ، فإن بعض الأولياء قد يكون حماراً ، أو خواصاً ، أو حياكاً فلا يعرفه غالب الناس ، ليستر خصوصيته بهذه الصفة التي يتعاطاها ، ومخاصمته للناس في حال معاملته معهم . وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس ، وهم الدعاة إلى الله تعالى ليتكلم بهم غيرهم - انتهى .

وفي الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف النابلسي ، نقلاً عن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في معنى « تستر الولي » : والصورة التي ظهر فيها هذا الولي من أحواله أيضاً ، فما ظهر بخلاف أحواله ، وإنما ظهر بخلاف الحال الذي تعتقده العامة في الولي أنه حال له ، ولا يخفى ولي حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم في عاداتهم مما لا تنتهك فيه حرمة شرعية ، فلا يرى العامة من هذا الولي إلا ما اعتادته من العامة ، فلا يتميز لهم حال الولي المتوهم في نفوسهم فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهم فما استتر أيضاً إلا بحاله ، فإن استتر بأمر في الظاهر عندهم أنه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر ، وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكن ، ولا من صاحب حال لشغله ، فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر في الستر ولا في الظهور ، وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه

المعارف والأسرار التي يعطيها الله لأوليائه ، ويفيضها على قلوبهم بظهور سلطان البشرية ، أى الأحوال التي تعرض للبشر ، والأمور الدنيوية التي يتعاطاها الناس ، فإن بعض الأولياء قد يكون حماراً ، أو خواصاً ، أو حياكاً فلا يعرفه غالب الناس ، ليستر خصوصيته بهذه الصفة التي يتعاطاها ، ومخاصمته للناس في حال معاملته معهم . وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس ، وهم الدعاة إلى الله تعالى ليتكلم بهم غيرهم - انتهى .

وفي الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف النابلسي ، نقلاً عن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي في معنى « تستر الولي » : والصرورة التي ظهر فيها هذا الولي من أحواله أيضاً ، فما ظهر بخلاف أحواله ، وإنما ظهر بخلاف الحال الذي تعتقده العامة في الولي أنه حال له ، ولا يخفى ولي حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم في عاداتهم مما لا تنتهك فيه حرمة شرعية ، فلا يرى العامة من هذا الولي إلا ما اعتادته من العامة ، فلا يتميز لهم جلال الولي المتوهم في نفوسهم فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهم فما استتر أيضاً إلا بحاله ، فإن استتر بأمر في الظاهر عندهم أنه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط في نظرهم لا في نفس الأمر ، وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكن ، ولا من صاحب حال لشغله ، فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر في الستر ولا في الظهور ، وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه

حاله . وإنما يقع الستر من الأكابر بالمباحات والعادات التي لا يقدر
الشرع فيها خاصة - انتهى .

وقوله : (ومنهم رجال يؤثرون سياحة الخ . .) أى ومن
الأولياء رجال يؤثرون سياحة في البرارى وسكنى المغارات .
وهؤلاء قوم اختاروا الاعتزال عن الناس إلى مواضع الخول
البعيدة عن الأمصار والقرى من رموس الجبال ومنقطعات القفار ،
وقنعوا بالقليل مما تنبت الأرض من الثمار المباحة ، واستأنسوا
بخالقهم ، ولولا الأنس بالمولى ما قدر أحد من أهل هذا المقام
على التبتل والافراد فى رموس الجبال والقناعات بأكل الحشيش

وأقل أمر فى هذا الاعتزال : أن يلزم الإنسان بيته فلا يخرج
إلا مقدار الضرورة ، كما روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ،
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيت الناس قد
مرجت عهودهم وخفيت أماتهم ، وكانوا هكذا (وشبك بين أنامله)
فالزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ،
وعليك بخاصة أمر نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، أخرجه
السيوطى فى الجامع الصغير . وعلى هذا كان خواص سلفنا العلويين ،
فإنهم يؤثرون العزلة فى ابتدائهم عن الناس ليعبدوا عما طبعوا
عليه من الأخلاق الرديئة ، والأعمال الذميمة - ثم الخلوة فى نهايتهم ،
ليتحققوا بأنس الخالق . وقصدهم بالتبتل فيها جمع الهمة على

المقصود ، والافتراء بالمحجوب ، لتكمل مناجاتهم ، ويترقون في معارج القرب . وللإمام الباقى أعاد الله علينا من بركاته :

فلازم مكاناً حين تعزل الورى إذ القلب مجموع وصدرك يشرح
فقد قال أشياخ الطريقة من يجد بخلوته جمعاً فلا قط يبرح
وفي مثل هذا الوقت جاءت صريحة أحاديث في مدح اعتزال تصرّح

وقوله : (ومنهم رجال ظاهرون بأمره . . الخ) أى ومن
الاولياء رجال ظاهرون بأمره . والمراد بالأمر هنا : ما شرعه الله
ورسوله من الأحكام واستمر العمل به . والمراد بهم مقرررو
الشرائع والأحكام ، وهم الذين قصرُوا هممهم على دعوة الخلق
إلى الله على طريقة سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آله أجمعين .

وقوله : (عن نصيح) أى عن إخلاص وصدق في دعوتهم
وإرادة الخير لهم . وهذا شأن أرباب السكال الدعاة إلى الله .

وقوله : (ولطف) هو الرفق ، وهو نتيجة حسن الخلق ،
وفي الحديث : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه » .

وقوله : (ورحمة) المراد بهارقة القلب .

ثم هذه الأوصاف ، وهى النصيح والرفق والرحمة من صفات
هداة الخلق المتصدين لإرشادهم إلى معالم دينهم ، إذ هى من صفات

الأنبياء . والدعاة إلى الله نواب الحق في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام في زمانهم . فمن قام في مقام الإرشاد ، و تصدى لنفع العباد ، يكون على قدم النبي صلى الله عليه وسلم في دلالة الناس على ما ينفعهم . وقد سئل الناظم - نفع الله به - لما عدد مراتب الأولياء : من الذى هو أثقل أمراً ، وأشدّ تبعاً ؟ فأشدد هذا البيت :

ومنهم رجال ظاهرون بأمره لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة وإنما كانوا أشدّ تبعاً لأن من تصدى للإرشاد يحتاج أن لا يفارقه الصبر على ما يناله من الأذى ، وهذا أشق على النفس ، ومن أعمال القلوب لما مور بها في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ . وقد قيل :

فإن كنت في هدى الأئمة راغباً فوطن على أن تشجبتك الوقائع^(١)
بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر مانع
لسانك مخزون وطرفك ملجم وسرك مكتوم لدى الرب ذائع
وذكرك مغرور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون وطعنك شائع

(١) شجبه : حزنه وشغله وأهلكه . والشجب - بالتعريك - : الحزن والغت يصيب الإنسان من مرض أو قتال اهـ .

وفي كل يوم أنت جارع غصة من الدهر والإخوان والقلب طابع
نهارك شغل الناس من غيرمنة وليلك شوق غاب عنه الطلائع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة ليوم عبوس عز فيه الذرائع
وهذه طريقة السادة العلويين ، فدأبهم الاشتغال بالعلم والتعليم
للإرشاد والدعوة إلى الله تعالى لإحياء شريعة سيد المرسلين .
قال بعض العلماء : إن الاشتغال بذلك مع صلاح النية أفضل من
قيام الليل وصيام النهار ، ومن الخلوة والرياضة ، لاسيما في هذه
الاعصار التي انطمست فيها معالم الشريعة ، وعم الجهل في أهلها ،
وذلك من أفضل الطاعات وأعظم القربات بشرط صلاح النية .
ولسيدي القطب أحمد بن عمر بن سميطة قدس سره :

فأين أولو الإنصاف أين أولو النهي وأين الحجا والحجر أين المشر
فلا زال في إخواننا وربوعنا من العلويين الكرام المبكر
لنصرة دين المصطفى أشرف الوري لكي يعلو الأديان والحق أظهر
معايشة الإخوان قوموا جميعكم قيام أمرىء في دعوة الحق ينصر
ونوبوا عن المختار في نشر ما أتى إليكم به عن ربه لا تقصروا
ولا تأخذوا شرع الرسول فإنه هزىز عليه ما عنتم بل انصروا
فن ينصر الشرع الشريف فنصره تكفل مولاه به فتدبروا^(١)

(١) في الأصل : « فن نصر » وعليه لا يستقيم وزن البيت .

ولنرجع إلى ما كنا بصددده من المحبة - ثم إن المحبين على أقسام ثلاثة : عوام ، وخواص ، وخواص الخواص .

أما الأول - فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه ، وفي الحديث : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه .. الخ الحديث .

وأما الثاني - فمحبتهم خالصة من الشوائب .

وأما الثالث - فمحبتهم عبارة عن التعشق الذي به يمحي العاشق عند تجلي نور معشوقه ، ولا تحصل هذه المحبة إلا بعد اليقين . ولرابعة العدوية :

أحبك حبين : حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للعجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وأكمل الخلق في المحبة سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، صلوات

الله وسلامه عليهم أجمعين إذ الحب أصل المقامات التي عنها ظهر

الوجود ، كما ورد في بعض الكتب الإلهية : « كنت كنزاً مخفياً

لم أعرف ، فأحييت أن أعرف ، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم ،

فبي عرفوني ، (١) وهو صلى الله عليه وسلم أصل الموجودات ،

(١) قال السيوطي وغيره : لا أصل لهذا الحديث .

فأعطى سبحانه وتعالى الأصل للأصل ، واعلم أن المحب لا يغفل
عن محبوبه ، ومطيع له في القيام بما إليه دعاه ، فإن المحب ولو
تغافل لا يغفل عن ذكر الحبيب في أى حال من حالاته وقربه وبعده
لأن المحبة دين أهل الله ، ولذا قال سلطان العاشقين ابن الفارض
قدس الله سره :

وعن مذهبي في الحب مالى مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتى

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ مضى زمانى فى الجفا ودهرى ومدمعى قد خاتنى وصبرى ﴾
﴿ وضاق بالفرقة فسيح صدرى ما حيلتى كم شا أكون صابراً ﴾
ذكر فى هذه الآيات حاله وما اعتراه بسبب الحب ، وأن
دهره مضى فى جفاء حيث لم يكن مسعوداً بحصول المني فيه ، وهذا
المعنى أحد أنواع الغزل المعبر عنه بـ « التشيب » ، عند الشعراء ؛
فإنهم يفتتحون قصائدهم بالغزل كي يتخلصوا منه إلى المقصود .
والغزل أربعة أنواع : « الأول » ، ذكر صفات المحب « الثانى » ، ذكر
صفات المحبوب التى هى أسباب المحبة ، حسية كانت أو معنوية ،
كالحسن والجمال « الثالث » ، ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعاً من هجر
ووصل وصد ، « الرابع » ، ما يتعلق بالوشاة . فذكر الناظم نفع الله
به هنا القسم الأول حيث قال : ومدمعى قد خاتنى الخ ، أى مدمعه

وصبره خازنه فلم يسعفه الدمع بالامتناع عن السكب ، ولا الصبر
يبقائه ، بل ذهب الصبر وكثر الدمع .

قوله (وضاق بالفرقة فسيح صدرى) الفرقة بإبدال التاء هاء
للوزن . وفسيح الصدر من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى
ضاق صدرى الفسيح بسبب الفرقة . وقوله (ما حيلتى الخ) المعنى
بأى حال من الأحوال أكون صابراً على الجفاء ، وما أقاسيه من
ألم الفرقة ، وقوله : (كم شاأكون صابر) هذه اللفظة معهودة عند
أهل اليمن ، وهى وإن لم تكن من وضع العربية لكنها متداولة فى
اللسن عندهم . وأكون فعل مضارع ، ولعل هذه اللفظة يعملونها
حشواً فى الكلام ، ويصدرون بها المضارع غالباً بمنزلة سين
التنغيس ، كما سمع منهم فى مخاطباتهم .

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ عسى عسى يا ساكنين نعان أن ينثنى وقت الصفا الذى كان ﴾
﴿ وينكشف حال الأسى والأشجان بوصل ليلي بهجة المسامر ﴾
« عسى ، معناها الترجى فى المحبوب ، والإشفاق فى المكروه .
وعلى الأول قول الشاعر :

فمسى الذى أهدى ليوسف أهله وأمدته فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا ويجمع شملنا والله رب العالمين قدير

قوله (والأشجان) بنقل الحركة . ونعمان بفتح النون واد
معروف ، وهو المراد في قول الشاعر :

أَعِذْ ذَكَرَ نَعْمَانَ لَنَا إِنْ ذَكَرَهُ هُوَ الْمَسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوُّعُ
وفي قول الآخر

أَيَا جِبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيًّا طَرِيقَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا
(قوله : بوصل ليلي بهجة المسامر) قد جرت عادة المحبين في
قصائدهم بذكر ليلي ، وهي معشوقة مجنون بني عامر ثم العارفون
يكنون بها عن المحبوبة الحقيقية ، وهي الحضرة العلية المنزهة عن
المشابهة .

وفي شرح الرسالة القشيرية للشيخ زكريا الأنصاري قدس سره
ما نصه : رُئِيَ مجنون بني عامر بعد موته في المنام ، وكان قد استغرق
في حب امرأة وساح في البراري ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟
فقال : غفر لي ما كان مني من الزلل ، وجعلني حجة على المحبين
الذين يدعون حب الله .

فيه دليل على كماله تعالى وتنزهه ، وأن من أحب حقه أن يفرغ
كليته في طلبه ، وأن مجنون بني عامر كانت محبته لمن له أشباه ، مع
أنه استغرق في حبه هذا الاستغراق العظيم ، وساح في البراري ،
ولما رآه هذا الراي في النوم وهو من المحبين لله ، سأله عن حاله ؛
فأجابه بما ذكر . وإنما جعله حجة على من ذكر لأنه بذل نفسه في

محبة مخلوق له أشباه ، فكيف بمن ادعى محبة من لا مثل له ولا شبيه ؟ فحقه أن تزيد محبته على محبة مجنون بنى عامر الزيادة الغالبة . فهذه الرؤيا في حق الرائي إن كانت كملت محبته لله وفي حق كل من سمعها اهـ . والوصل عند القوم : مكاشفة القلوب ، ومشاهدة الأسرار ، بأن يطلع الله تعالى من أراد من أهل العناية على كونه تعالى معه في سائر الأحوال الثابت ذلك في نفس الأمر . وسمى هذا الشهود وصلا لا اتصال العارف بشهود ما الأمر عليه في الواقع قال تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) أى على أى حال كنتم ، فمعيته تعالى لنا متحققة في نفس الأمر . والذي يحصل لأهل العناية أن يكشف عن بصائرهم حتى يشهدوها قاله في شرح ورد السحر للعارف بالله سيدى عمر بن جعفر الشبراوى ، وهو من العلوم الذوقية التى تخفى حقيقتها على غير أهلها . وفيه قال سيدى العارف بالله مرشدنا وبركتنا على بن محمد بن الحسين الحبشى العلوى أطال الله بقاءه :

حقيقة معنى الوصل تخفى على الغمر ومورد عين القرب من مطلع الفجر
وفى سر معنى الذوق كم من عجيبة يترجم عنها القلب والروح كالسر

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿ أنا الذى فى حبها مُتِّمٌ محزونٌ مشجونُ الفؤاد مغرَمٌ ﴾
﴿ فهل تراها يا نديم تعلم بما بقاى من هوَى مخامرٌ ﴾

المتيم بتشديد الياء المفتوحة : من تيمه الحب ، استعبده وأذله ،
إذ المحب في جناب الحبيب كالعبد اللبيب في مقام الطاعة في كل
ساعة ، مذلل محقر منقاد ، إذ العبودية تستلزم ذلك . والمغرم بصيغة
اسم المفعول من الغرام ، وهو الولوع ، فالمغرم هو المولع بالشئ .
لا يصبر عنه . والحزن : هو الهم . أو خلاف السرور . وهذه
الاسماء الأربعة أخبار : تعددت لمبتدأ محذوف ، تقديره . أنا
الذى هو متيم . . الخ . وذلك عند من يجوز تعدد الخبر ؛ قال في
الخلاصة :

وأخبروا باثنين أو بأكثر عن واحد كهم سراة شعرا
وقوله (فهل تراها . . الخ .) الاستفهام للإنكار ؛ أى لا تظنها
يا نديمى تعلم بما حل بقلبي من الهوى الذى خامره أى خالطه ؛ إذ
الحب من الوجدانيات فلا يعرفه إلا صاحبه ؛ كما قيل :

لا يعرف الشوق إلا من يُكابده ولا الصَّباة إلا من يُعانيتها
ولبعضهم وأجاد :

تحقق أنى فيه أصبحت مغرما ولكنه لم يذر ما سببُ الحب
تعشقت منه حالة لست قادرا على وصفها إذ لم يذُقها سوى قلبي

* * *

ثم قال الحبيب نفعا الله به :

﴿ يَاسَا كَنِينَ السَّفْحِ مِنْ فَوَادِي وَادِي النَّدَا يَا خَيْرَ كُلِّ وَادِي ﴾
﴿ حَيْثُ الْمَنَادِي سَمِعَ الْمَنَادِي يَا أَهْلَ الْبَصَائِرِ حَدِّقُوا الْبَصَائِرِ ﴾

السفح : طرف الجبل المحاذي للوادي . أو وسط الجبل ؛ شبه
الفؤاد به على سبيل الاستعارة المكنية ، لأنه صرح بالمشبه دون
المشبه به ، وإنما دل على المشبه به شيء من لوازمه وهو السفح تخيلاً ،
وذكر السكون ترشيحاً . والمعنى : أنهم كالمقيمين في فؤاده لصدق
محبتهم لهم ، وانطباع حقائقهم في ذهنه ، فهم بهذا المعنى حاضرون
في الفؤاد وإن غابت الأجساد ، ويشهد له قول القائل :

حبيب نأى وهو القريب المصائب وشحط النوى لم تنض فيه الركائب^(١)

والذي يظهر أن المنادي الأول والثاني بزنة اسم الفاعل فهو
بكسر الدال ، وحيث ظرف لمكان النداء وهو وادي الندى
والمراد به مكة مهبط الوحي والتنزيل . أو طيبة المشرفة بساكنها
عليه أفضل الصلاة والسلام . ولا مانع من إرادة الواديين ، إذ كل
منهما حظى بنصيب وافر منه صلى الله عليه وسلم .

ألا يارسول الله شرفت طيبةً ومكة لما صرت طرز حلالها
حللت بهذي مرةً ثم مرة بهذي فطاب الواديان كلاهما

(١) المصائب : الداني . أو المواجه . الشحط : البعد . النوى - هنا -

الدار . لم تنض : لم تهزل . الركائب : الإبل .

والمراد بالمنادى : الداعى إلى الله ، أى حيث الداعى يسمع
الداعى فى ذلك الوادى ، وهو كناية عن كثرة الدعاة إلى الله ،
ولم يزل فيه المنادون لطرق الرشاد من العلماء المقررين لشريعة
سيد المرسلين ، القائمين بنشر علوم الشريعة وعلم الأخلاق والآداب
وكل علم نافع ، المهتدين بهدى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ،
وهو أشرف وأكرم المنادين أمته إلى الإيمان بالله وبه وبالقرآن .
ويلزم من الإيمان به الإيمان بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم .

والذين استجابوا لندائه صلى الله عليه وسلم هم المؤمنون حقاً ،
المستدلون على قدرته بآياته الباهرة ، الذين يتفكرون فى خلق
السموات والأرض ليستدلوا بهما على صانعهما الحكيم ، القائلون
بعد رسوخ الإيمان فيهم والنظر إلى خلقه بعين الاعتبار ﴿ ربَّنَا
ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانه ﴾ ففينا عذاب النار ﴿ وهم القائلون
إذعانا لأمره ، وإيماننا بنبيه الهادى إليه : ﴿ إنا سمعنا منادياً ينادى
للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ﴾ والبصائر : جمع بصيرة ، اسم لما
اعتقد فى القلب من الدين وتحقيق الأمر ، وقوة القلب المدركة ،
قال الله تعالى ﴿ أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ أى معرفة وتحقيق .
ومن معانيها الفطنة والحجة ، وعليه فلا تكرار فى كلام الناظم ،
بل فيه الجنس التام . والمراد بالبصائر - فى قوله ﴿ حدقوا البصائر ﴾ -

الحجة (١). والمراد بالبصائر في قوله ﴿يأهل البصائر﴾ القرآن
المشتمل على الدلائل والبراهين الموصلة إلى العرفان واليقين المشار
إليه بقوله : ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ .

* * *

ثم قال الناظم نفعا الله به :

﴿هذا جمال الحق قد تجلّى ولم يكن محبوباً قط كلاً﴾
﴿لكن قلب العبد قد تخلّى شاهدٌ وكانت منه السواتر﴾

المراد بجمال الحق : محاسن صفات الله الجمالية . ومعنى تجلّى :
ظهر . أشار سيدنا الناظم إلى أنه قد حظى بنصيب وافر مما للعارفين
الذين تجلّى الله على قلوبهم ، فتحققوا عظمتهم ، وشاهدوا أنوار
جماله وجلاله بأعين البصائر وهم الأولياء . وإلى هذا المعنى أشار
العارف ابن عطاء الله بقوله رضى الله عنه : يامن تجلّى بكمال بهائه ،
فتحققت عظمته الأسرار . ويعنى بالأسرار : بواطن قلوب
العارفين . والعارف فى اصطلاح أهل الله : من أشهده الله ذاته
وصفاته ، وأفعاله وأسماءه على ما يليق به ﴿قوله ولم يكن الخ﴾
الواو للحال ، والجملة حال من جمال الحق أو من الحق ، وعليه

(١) الأنسب بقوله « حدقوا » أن يكون المعنى : يأهل القرآن - والمراد
بهم خواص المؤمنين - افتحوا قلوبكم وأفسحوها لإدراك جمال الحق ؛ فيراد بالبصائر
الثانية قوة القلب . تأمل .

فالضمير في « يكن » الذي هو اسمها يعود إلى « الحق » وهو أوضح .
والمعنى : قد تجلى الحق حال كونه غير محجوب قط ، إذ الحجاب
عن النظر إليه إنما هو على العبد بما فيه من الأوصاف النفسانية
الساترة لا على الحق . ويوضح معنى كلام الحبيب قول صاحب
الحكم قدس سره : الحق ليس بمحجوب ، وإنما المحجوب أنت عن
النظر إليه . إلى آخر ما قاله ، وإنما يرتفع الحجاب بالتخلي
بالأوصاف الحميدة بعد التخلي عن أضدادها الموجبة للكثافة ،
فيصل حينئذ إلى النظر إليه بعين البصيرة ، وهو مقام الإحسان
المعبر عنه بمقام المشاهدة ، ويكون الواصل إلى هذه الحالة لا يرى
فيها إلا المولى سبحانه وتعالى فانياً عن الأكوان ، متوجهاً بقلبه
إلى الرحمن ، ملتقفاً ما يلقيه المولى سبحانه وتعالى في قلبه من لطائف
العرفان . وإلى ما تقرر أشار العارف بالله سيدى على وفا ، بقوله
قدس سره .

إن تلاشى الحجاب عن عين كشفى شاهد السر غيبه في بيان
فاطرح الكون عن عيانك وامح نقطة الغين إن أردت ترى
في قوله لكن قلب العبد قد تخلى الخ أراد بالعبد هنا : نفسه ،
أى أنه قد تخلى عن الأوصاف الذميمة ثم شاهد في قوله وكانت
منه السواتر أي وكانت منه السواتر ، وهى الحجب المانعة عن
المشاهدة وحقيقتها المكشفات من الأوصاف النفسانية ، التى بالتخلي

عنها تحصل المشاهدة . وهذا من الحبيب نفع الله به تصریح يلوغه
لهذه المراتب العلية ، والمناقب السنية ، وبأنه من أهل مقام
المشاهدة ، تحدثاً بالنعمة ، وفرحاً بفضل الله تعالى وشكراً لله
حيث أهله لهذا المقام أمثالاً لقوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ طُورُ التَّجَلَّى قَلْبُ كُلِّ عَارِفٍ وَمُهَيْبُ الْأَسْرَارِ وَاللَّطَائِفِ ﴾
﴿ وَالنَّفْسُ مُوسَى تَشْهَدُ الْمَعَارِفَ مَهْمَا تَجَلَّتْ وَأُثْبِتَ الظَّوَاهِرُ ﴾
أى قلب العارف موضع التجلى ، والتجلي ما ينكشف للقلوب
من أنوار الغيوب . والطور - كما فى القرطبي - : اسم من أسماء
الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام . والمعنى : أن قلب
العارف جبل الانكشاف ، ومهيب الأسرار واللطائف .
والأسرار : جمع سر وهو ما يطلع الله عليه أصفياه (١) وهو نتيجة
التقوى بشاهد قوله تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ .
واللطائف : جمع لطيفة ، وهى كل إشارة دقيقة المعنى تلوح

(١) فى شرح الشبراوى على ورد السحر : « السر مالك عليه استشراف .
وسر السر . ما لا يطلع عليه إلا الله تعالى » . ويطلق السر على العلوم والأنوار
والأحوال المصونة المكنونة بين العبد وربّه اهـ .

للفهم لا تسعها العبارة كعلوم الأذواق ، قاله السيد الجرجاني
في تعريفاته . والمعنى : أن قلب العارف موضع تنزلات أنوار
الغيوب والأسرار واللطائف . ﴿ قوله والنفس موسى تشهد
المعارف ﴾ الكلام على التشبيه البليغ ، والمناسبة لا تخفى
على الذوق السليم في ذكر الطور وموسى . يعنى أن النفس كموسى
في شهود المعارف وللنفس معان ، فمن معانيها : عين الشيء
وكنهه وجوهره ، يقال : جاء الملك نفسه ، أى عينه ، وهو المراد
هنا . والمعنى : أن قلب العارف في التمثيل كطور التجلى . والنفس :
أى عين الشخص كموسى في شهود المعارف الواردة على القلب
مهما تجلت ، أى ظهرت . والمراد بالقلب هنا : اللطيفة الربانية
التي لها تعلق بالقلب الجسماني ، وإنما كان القلب موضع التجلى
لأنه محل الفيوضات الإلهية ، كما ورد في الحديث القدسي : « ما وسعني
أرضي ولا سمانى ووسعني قلب عبدى المؤمن » . وهو محل نظر
الله تعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم
وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » إذ القلب هو
المصلح كما في الحديث : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح
الجسد كله . . . » الخ وبه يعلم أن القلوب هي المصححة للأعمال
الظاهرة . والإصلاح بها يكون على ضربين : الضرب الأول هو
إصلاح القلب لأصل الأعمال بأن يكون صاحبها مؤمناً ، إذ الإيمان

المنجى هو التصديق بالقلب ، وبه اعتداد أعمال الجوارح وحصول النجاة . وأما الانقياد إلى الأعمال مع التصديق باللسان من دون إذعان باطنى فغير مفيد بالنسبة للآخرة ، وصاحبه ليس بمؤمن ناج فى الآخرة ، بل بالنسبة لإجراء أحكام المؤمنين فى الدنيا من التوارث والصلاة عليه ، وعصمة ماله ودمه . وأما الضرب الثانى فهو إصلاح القلب للأعمال ، لكن لا لأصلها بل لتكميلها ، وذلك بمراقبة الحق فيها ، وهو المعبر عنه بالإحسان حيث قال صلى الله عليه وسلم : فيه أن تعبد الله كأنك تراه . الخ ، فاستفيد من الحديث أن تصحيح الأعمال من أصلها وتكميلها إنما هو بالقلب ، والجوارح تابعة له (وقوله مهما تجلت) أى مهما تجلت للقلوب كما تقدم . (وقوله واثبت الظواهر) أى أثبت الظواهر من أن المراد بموسى هو نبي الله عليه السلام ، وأن المراد بالطور : هو الجبل المشهور ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً ﴾ وقصده - نفع الله به - التنبيه بأن قوله (طور التجلى قلب كل عارف) (وقوله والنفس موسى الخ) مجرد تشبيه ، وضرب أمثال لا تنزىل الآية على معنى آخر ، أى لا يتوهم الواقفون على مافى النظم تأويل موسى فى الآية بالنفس ، والطور بالقلب ، كما فعلت الملاحدة الباطنية ، الذين نزلوا ظواهر الآيات على معان آخر قصد الإغواء ، حتى حرفوا القرآن من أوله إلى

آخره عن ظواهره ، فليس المراد بما في النظم إلا مجرد تمثيل .
فإن قيل إن مشارب الصوفية في معاني القرآن تخالف ظواهر
التفسير ؟ فالجواب ما قاله السعد في شرحه (١) ، ونص عبارته : سميت
الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها
معان باطنة . قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن
النصوص محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى
دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر
المرادة ؛ فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان اهـ .

وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه
الطائفة (٢) لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمعاني الغريبة ليست إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن
ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه في عرف
اللسان وهم أفهام باطنية يفهمها من الآية والحديث من فتح الله
على قلبه ، وقد جاء في الحديث : « لكل آية ظهر وبطن » .
فلا يصدنك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل :
هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله ؛ فليس ذلك بإحالة ،
وإنما تكون إحالة لو قال : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لا يقولون

(١) أى للعقائد النسفية

(٢) يعنى الصوفية .

ذلك ، بل يفسرون الظواهر على ظاهرها مراداً بها موضوعاتها -
انتهى .

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه : القرآن نزل وتنزل ،
فالنزول قد مضى ، والتنزل باق إلى يوم القيامة . أى القرآن نزل
على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل عليه السلام ،
وتنزل على قلوب أوليائه بما يلهمهم إياه فى أوقات صفاء قلوبهم ،
 ويفهمهم معناه إذا خلوا بمحبوبهم ، كما أشار إلى ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم : « استفت قلبك وإن أفطاك المفتون » . وإلى ذلك أشار
سيدى العارف بالله والدال عليه القطب على بن محمد بن الحسين
الحبشى أدام الله النفع به فقال :

كتاب الله أنزله تعالى	على خير الورى الهادى الدليل
كتاب جامع للعلم يهذى	إلى التقوى ويشقى للعليل
هو الوحى الذى قد كان يوحى	إلى الهادى على يد جبرئيل
تنزله على العلماء باق	لديهم وهو منقطع النزول
بوصف الأثر للمختار نالوا	غريب الفهم من أعلى منيل

* * *

قال الناظم نفعا الله به :

﴿ والنفس مغناطيس أمر الالهام والروح مغناطيس كون الأجسام ﴾

الكلام على التشبيه البليغ . والمغناطيس : آلة تجذب الحديد معروفة . والمراد بأمر الإلهام : الشيء الملهم به ، فنسبة النفس إلى جذبه كنسبة المغناطيس إلى جذب الحديد . وحاصل المعنى : أن النفس شأنها أن تميل إلى الأمر الملهم به ، ويصير ميلها إليه داعياً إلى فعله - طاعة كان أو معصية - على مقتضى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ والنفس إما حيوانية ، وهى التى تميل إلى رجس الحظوظ . وإما إنسانية ، وهى التى لا تميل إلى ذلك بل إلى العلوم والمعارف ، ثم إن النفس الإنسانية لها مراتب مختلفة ، بها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها ، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوات معترضة على النفس الشهوانية سميت اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ وإذا تركت الاعتراض ، وأذعنت للشهوات ، وانقادت لدواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ وهذه هى المذمومة والمرادة للصوفية إذ يقولون : لابد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك »

وأما الفرق بين النفس الناطقة والروح والقلب ، فحاصل ما أوضحه حجة الإسلام الغزالي : أن (لفظ القلب) يطلق لمعنيين : (أحدهما) اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، وهذا إنما يتعلق به غرض الأطباء ، وليس هو المراد في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (والمعنى الثاني) - لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسماني المذكور تعلق ، وتلك اللطيفة هي المدركة للعارف ، وهي في الحقيقة الإنسان المطالب والمخاطب ، والمشاب والمعاقب . وقد تحير أكثر الخلق في وجه تعلق هذه اللطيفة بالقلب الجسماني ، وإن الوقوف على حقيقة ذلك إنما يكون لمن أطلعه الله من خواص خلقه على لطائف أسرارهِ ، وهذه اللطيفة هي المرادة بمثل قوله تعالى : ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ ، وقوله في الحديث القدسي : « ما وسعني إلا قلب عبدي المؤمن » وكذلك في عبارات علماء الشرع والسلوك .

(الثاني لفظ الروح) ويطلق لمعنيين (أحدهما) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، وينشر بواسطة العروق الضواريب إلى سائر أجزاء البدن . وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم والذوق منها على أعضائها يضاهي فيضان النور .

من السراج الذى يدار فى زوايا البيت ، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستدير به ، وهذا المعنى مراد الأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح .

والمعنى الثانى : اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، التى مر ذكرها فى أحد معاني القلب ، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ وهو أمر عجيب ربانى ، عجز أكثر الخلق والعقول عن إدراك حقيقةه .

الثالث - النفس ، وهو أيضاً مشترك بين معان ، منها : أن يراد عين الشخص ، فيقال : جاء زيد نفسه ، أى عينه . وأن يراد المعنى الجامع لقوى الغضب والشهوة فى الإنسان ، وهذا المعنى مراد الصوفية إذا قالوا : جهاد النفس ونحو ذلك . والثانى - اللطيفة التى مر ذكرها فى القلب والروح .

وبما تقرر تبين أن معانى الأسماء الثلاثة موجودة وهى القلب الجسمانى ، والروح الجسمانى ، والنفس الشهوانية ، فهذه يطلق عليها الألفاظ الثلاثة . ومعنى خامس ^(١) وهو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، فالألفاظ الثلاثة بجملتها تتوارد عليها . بقوله : والروح مغناطيس كون الأجسام المراد بكون الأجسام عين الأجسام أى

(١) هو خامس فى عبارة الامام الغزالي التى اختصرها الشارح وهو رابع فى عبارته المختصرة فتأمل .

كما أن المغناطيس له تسلط على الحديد يجذبه إليه بخاصية ، كذلك الروح لها تسلط على الجسم تجذبه إليها ، فتكسبه ما كان لها من الصفاء والخواص ، وهى علوية من جنس الملائكة ، وإنما تسفلت بحكم الجسد ، فإذا تخلى العبد عن جميع الأوصاف المذمومة وتخلّى بالمحمودة ، وأخذ فى الرياضات : من تقليل الطعام ، والمنام والاختلاط بالأنام ، وجعل ذكر الله ديدنه ، إلى أن تستولى روحانيته على بشريته ، وتكسوها اكتساء النار للجمرة - قوى حينئذ جاذب الروح ، وظهرت خاصيتها على الجسم ، وصار صاحبه حينئذ روحانيا سماويا . وهذا منه ما هو مذكور فى محله من كتب الأئمة . ومنه ما يتلقى من خواص الأئمة .

قال سيدى محمد بن حسين الزيدى فى كتابه « اتحاف السادة المتقين » ما نصه : ومن يطوى لله خالصا يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسبه الطعام وقد لا ينسى ولا امتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحاني ، فيجذبه إلى مركزه ومستقره من عالم الروحاني ويبعد بذلك عن أرض الشهوة النفسانية . وما أثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها ، وانعكاس نور الروح عليها بواسطة القلب المستنير بأقل من جاذب المغناطيس للحديد ، إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبته الجنسية الخاصة . فإذا تجنست النفس بانعكاس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب ، يصير فى النفس

روح استمددها القلب من الروح ، وأداها إلى النفس فيجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه ، فيزدري الأطعمة الدنيوية ، والشهوات الحيوانية - انتهى (١) ثم إذا استولت الروحانية على البشرية ، وصارت الروح دائماً تجول في أنوار التوحيد وأسرار التفريد ، لأم الجسم الروح ، وتقوى على الأمر الخارق . وفي هذا المبحث قال سيدى عبد العزيز الدباغ فى الابريز - بعد أن ذكر ما ذكر مما يتعلق بهذا المبحث - ما نصه : ومن ذلك ما يقع للأولياء من وجودهم فى الموضع والأماكن . ودخولهم فيها من غير فتح أبواب ، ومن ذلك ما يقع لهم فى مشى الخطوة ، حتى يضع الواحد منهم رجلاً بالشرق ورجلاً بالمغرب ، فإن الذات لا تطيق خرق أهواء الذى بين المشرق والمغرب فى لحظة فإن الهوى يقطع أوصالها ويفتت أعضائها . وينشف الدم والرطوبات التى فيها ، ولكن الروح أمدتها بالقوة المذكورة لحبها لها حتى وقع ما وقع .

وقال أيضاً فى موضع آخر من كتابه المذكور ما نصه : فإذا أحبت الروح الذات ، وزال الحجاب الذى بينهما أمدتها بهذه البصيرة ، فتبصر الذات من أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال بجواهرها كلها ، وتسمع كذلك وتشم كذلك ، وبالجمله فما

(١) هكذا عبارة اتحاد السادة المتقين فى نسخة الشرح التى بيدنا وتراجع على أصلها المنقولة عنه .

كان للروح يصير للذات ، وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة يوم شقت الملائكة صدره الشريف « صلى الله عليه وسلم » وهو صغير ، ففي ذلك الوقت وقع الانحام والاصطحاب بين روحه وذاته « صلى الله عليه وسلم » ، وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع عليه روحه « صلى الله عليه وسلم » ، فلذا صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم : « أقيموا ركوعكم وسجودكم فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى ، فهذا سر الحديث والله أعلم .

وقال أيضاً فى قوة السريان ما نصه : وهى عبارة عن إقدار الله تعالى لها على خرق الأجرام والنقوذ فيها ، فتخرق الجبال والجلاميد والصخور والجدران ، وتغوص فى ذلك وتذهب حيث شاءت . وإذا سكنت الروح فى الذات وأحببتها واصطحبت معها أمدتها بهذه القوة ، فتصير الذات تفعل ما تفعله الروح اهـ .

وبهذا ظهر كلام الناظم . وهذا بحر لا ساحل له ، ومورد لا أول له ، ولا يفهم حقيقته إلا أهلها ألو الاختصاص بالحضرة الإلهية ، الذين زالت عنهم حجب النفس الظلمانية وأما إمداد الروح الجسم بالنسبة للعامة بالحركات إذ هو مفتقر إليها فى ذلك ، ولولا الروح لما تحرك الجسم ، فهذا تسلطها عليه بالنسبة للعامة ،

وأما بالنسبة للخاصة فيما ذكر ، ولذا قيل : إن الأجساد مولدة
الارواح .

وما الفخر إلا للجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ وذاك من بعد التوجه التام بكل باطن وبكل ظاهر ﴾
أى حصول تلك الحالة الشريفة لا يكون إلا بعد التوجه
التام ، ظاهراً وباطناً : أما التوجه الباطنى فاتصافه باطنياً بالزهد ،
وهو خلو الباطن من الميل إلى فان- وهذا عزيز جداً وفراغ القلب
عن السوى ، حتى يخرج العبد عن أفعاله وأوصافه ووجوده ، فلا
يرى فعلاً إلا فعل المولى ولا وصفاً إلا وصف المولى ، ولا وجوداً
إلا وجود المولى بارئته . ويصير عالم الشهادة غائباً عنه ،
وعالم الغيب الذى هو عالم الملكوت شهادة معابناً له بعين البصيرة
فلا يزال يقطع الحجب إلى مقام القرب حتى يتحقق له ما فى الحديث
القدسى : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالتواقل ، الخ . فحينئذ
لا يستغرب شئ . من الخوارق منه ، إذ من كان الحق سمعه وبصره
ولسانه ويده ورجله ، فهو جدير بذلك . ثم إن هذا الحديث من
المتشابه ، والسلف يؤمنون به مع التنزيه والتفويض ، والخلف
يؤولونه بما يلىق . قال سيدى الناظم نفع الله به :
وكن فى أحاديث الصفات وآيها على مذهب الأسلاف حيث السلامة

وأما التوجه التام ظاهراً فبأن يتحلى بأخلاق القوم ، ويبذل
الجهد فى إصلاح ظاهره ، ليكون موافقاً لميزان الشريعة بعد تمسكه
بآداب الطريقة .

ومن الوسائل : ملازمة الأوراد ، إذ بملازمة العبد لها يحصل له
نور يزيل عنه ما يحجب قلبه عن الله تعالى ، فإن الخروج من الطبائع
والمألوفات ، وظلمات الأوهام القاطعة عن الله تعالى لا يكون إلا
بملازمة ذكر الله تعالى ، إذ هو الرافع لحجب الهوى عن القلوب ،
وبارتفاعها يرتفع العبد إلى أعلى المقامات .

حجاب الهوى عنا متى ذاك يرفع بوصف انمحاق كى به العبد يرفع

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ الله أكبر هذه الحقيقة ﴾ قد أشرقت من مشرق الطريقة ﴿
الحقيقة : باطن الشريعة ، وهى ظاهر الحقيقة ، فهما متلازمان
فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول (١) وكل حقيقة غير
مقيدة بالشريعة فغير محمول . ويوضح ذلك : أن الشريعة مباشرة
الله من الأحكام ، من كل ما دلنا عليه الكتاب والسنة أمراً ونهياً
وأما الحقيقة : فشاهدة الربوبية فى جميع الحركات والسكنات ،
وذلك شهود الأسماء والصفات ، وشهود الذات وأسرار القرآن

(١) أى فامر غير مقبول . وكذا يقال فيما بعده .

وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم ،
وإنما تفهم عن الله، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾
أى فهما فى قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم . وقال تعالى :
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ أى بغير واسطة معلم ، قاله العارف
الصاوى فى بعض مؤلفاته . فقول العبد ﴿ إياك نعبد ﴾ حفظ
للشريعة من حيث إضافة العمل إلى نفسه، ورؤيته أنه عامل وقوله
﴿ وإياك نستعين ﴾ اقرار بالحقيقة من حيث تبرؤه من القيام بشيء
من عبادته ، وافتقاره فيها إلى عون ربه لشهوده أن الفاعل المختار
هو الله تعالى ، وأنه محل ظهور الأفعال .

ومن الحقيقة: مراقبة المولى فى العباداة، فصاحبها من أهل الحقيقة
ولهم طريقة أيضاً ، وهى العمل بالواجبات والمندوبات حسب
الإمكان ، فهى كناية عن العمل الجارى على وفق الشرع ، وترك
المنهيات ، والتخلي عن فضول المباحات . ولها آداب وشروط
تطلب من كتب القوم .

قال بعضهم : والأولى أن تعرف الحقيقة بعلم بواطن الأمور،
كعلم الخضر بأن ما فعله مع موسى من خرق السفينة وغيرها فيه
مصلحة .

ثم إنه لا يتوصل إلى الحقيقة إلا بالطريقة التى هى كناية عن
العمل حسب الإمكان والتخلي والتخلي . فالحقيقة ثمرة الطريقة ،

ومن ثم قال الحبيب نفع الله به : قد أشرقت من مشرق الطريقة، أى إشراقها من الطريقة كما تقرر ، فمن رام الحقيقة أحكم الطريقة. ومن كلام مالك رضى الله عنه : من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم - انتهى . أفاد بهذه الكلمات . الشريعة والطريقة والحقيقة ، فالشريعة بقوله « علم » ، والطريقة بقوله « عمل » ، والحقيقة بقوله « أورثه الله علم ما لم يعلم » . ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الجامع لجميع الكمالات والمقامات ، والمعارف والعلوم والبركات ، وهو الواسطة فى كل خير من خيرات الدنيا والآخرة ، وهو الباب الأعظم الذى لا يدخل أحد حضرة القدس إلا به صلى الله عليه وسلم أرشد الناظم إلى اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال .

* * *

﴿ فامسك أخى بالعروة الوثيقة وهى اتباعك سيد العشائر ﴾
 الفاء أفصحت عن شرط مقدر تقديره : إن أردت الكمالات فامسك بالعروة الوثيقة . « وأخى » منادى بحذف الياء مضاف إلى ياء المتكلم وحصول المطالب الجميلة بسبب الاتباع ظاهر ، قال الله تعالى : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ومحبة الله للعبد هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون ، وإليها تشخص العاملون الملاحظة فى الحديث القدسى « إذا أحببت عبداً .. الخ » (وقوله العروة الوثيقة) أى العروة المحكمة ، فالعالم كله متعلق به صلى الله

عليه وسلم في الإيجاد والإمداد ، ولا شيء إلا وهو به منوط .
واتباعه صلى الله عليه وسلم هو التمسك بالعروة الوثيقة ، التي من
تمسك بها نجا ووصل إلى منتهى السعادات ، ونهاية الغايات .
وبالعمل على طريق الاتباع تشرق الأنوار للعامل ، وبواسطة
الأنوار تنشأ علوم الحقائق . وللناظم نفع الله به .

واعلم بأنك لا تفضى إلى وطر بدون أن تقتفى في الورد والصدر
خير النبیین هادين ومرشدين بما أتانا من الآيات والسور
* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿ محمد المبعوث بالهداية والحق والتحقيق والولاية ﴾
(قوله محمد المبعوث بالهداية) هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،
المرسل إلى الإنس والجان ، وكذا الملائكة — أفضل الخلق
إجماعاً إلا من شذ كالزنجشري ، ولا عبرة بما قاله عند أهل التحقيق
والبلاء في قوله (بالهداية) للملابسة أو المصاحبة ، قال الله تعالى
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) والهداية : مصدر هدى ، وهى
على قسمين هداية العوام ، وهى اتباع شريعته صلى الله عليه وسلم
في ظاهره : وهداية الخواص ، وهى سلوك طريقته التى هو عليها
في باطنه . ولا تحصل الثانية إلا بالأولى ، والمراد بالحق هنا القرآن ،
أو ما طبق الواقع ، وكلا المعنيين يصحان في هذا المقام ، قال تعالى :

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ ، وقال تعالى: ﴿وإنك لنهدي
إلى صراط مستقيم﴾

(قوله والتحقيق) التحقيق عند علماء الشرع إثبات المسائل
بأداتها ، وذكر الشيء على الوجه الحق . ويرجع معناه المناسب
في حقه صلى الله عليه وسلم إلى إظهار آيات القرآن ، المشتمل على
الأدلة التي لا تخفى على كل مسلم المثبتة لوجود واجب الوجود ،
وللمعاد والجزاء وغير ذلك مما نطق به الآيات . فهو صلى الله
عليه وسلم مبين للناس ما أنزل إليه على وجه إثبات ذلك بتلاوته
على الناس وتبيينه لهم ، قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ .
(قوله والولاية) المراد بولايته صلى الله عليه وسلم : حاله
الخاص مع ربه تعالى ، وهو مقام لا يناله غيره ، ويشهد لذلك
قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى . ما كذب الفؤاد
ما رأى ﴾ وللبوصيري رحمه الله .

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
فقاده صلى الله عليه وسلم لا يسامى ولا يلحق ، ويسمى في
اصطلاح الصوفية ، بالفيض الأقدس ، فكل من نال شيئاً من
أولياء أئمة المسعودة فمقتبس من نوره الكريم ، وماخوذ من بحر
مدده العظيم .

وكلهم من رسول الله ملتصق غرقاً من البحر أو رشفاً من الدميم

بل والأنبياء — كما أوضحه غير واحد من علماء الدين —
مستمدون منه صلى الله عليه وسلم ، ففي الفتوحات مانصه : أن
مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم ، إذ هو قطب الأقطاب ، فهو بمد لجميع الناس أولاً
وآخرأ ، فهو بمد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في
الغيب ، ومد أيضاً كل ولي لاحق فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله في
حال كونه موجوداً في عالم الشهادة ، وفي حال كونه منتقلاً إلى
الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة ، فإن أنوار رسالته صلى الله
عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين . فكل
نبي تقدم على ظهوره فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشهادة . انتهى

قال بعضهم : ينبغي لمن زار ولياً من أولياء الله أن يستحضر
استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم ، فيكون بذلك زائراً له
صلى الله عليه وسلم . ولا يخفى أن القطب الموجود في كل زمان
— كما يقول أهل البصائر — وهو المسمى بالغوث باعتبار الالتجاء
إليه هو مستمد من فيوضات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو
كالنائب عنه وهذا معلوم عند أجلاء المسلمين : وصرح بذلك
الناظم نفع الله به في قصيدته اللامية التي قالها في وصف القطب .
ولنوردها . قال نفع الله به :

أهلاً وسهلاً بالحبيب الواصل
أحييتني بالقرب منك وباللقا
يا من هواه وحبّه ووداده
أنت المراد وأنت غاية مطلبي
لاحت بروحي صبوة وصبابة
فقدوتُ ما بين الأنام مدّاتها
ذهبت به السكرات من خمر الهنا
فتراه فإن^(١) عن عوالم حُسْدٍ
فاشرب شراب العارفين الأوليا
وأخضع لساقيتهم وقطب مدارهم
غوث البرية كلها ومفيدها
إلى أن قال :

من بعد ما نامت عيون العاذل
من بعد موتى بالعماد القاتل
سكن السويداء من فؤادي الداخل
من كل عال في الوجود وسافل
بجمالك الفرد البديع الكامل
وموأتها في حال صَبّ ذاهل
والأنس لامن كأس خمر الباطل
لا يستفيق لقول ضِدِّ عاذل
الجامعين لكل وصفٍ فاضل
ولإمام سالك سُبُلهم والواصل
عن إذن سيده الكريم العادل

يتمد من بحر البحور محيطها

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿إنسان عين الكشف والعناية وروح معنى جملة المظاهر﴾

* * *

« إنسان » خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو إنسان العين ،

(١) كذا : الأصل .

أى حدقتها ، وهو المثال الذى يرى فى سوادها . فى الكلام
 استعارة بالكناية ، حيث شبه الكشف وكذا العناية - بإنسان ذى
 عين والنبي ناظر تلك العين، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بلازمه
 وهو عين . « وإنسان ، : ترشيح والجامع إدراك كل منهما لحقائق
 الأشياء من عوالم الملك ، كما يدركها بالكشف من عوالم الملكوت
 وعلوم الغيوب . فهو صلى الله عليه وسلم أجل المصطفين ، وأكمل
 المرسلين المظهرين على الغيوب ، قال تعالى : ﴿ فلا يظهر على غيبه
 أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ وفى قوله (والعناية) استعارة
 مكنية ، لأنها شبت بشخص له عين كما يقتضيه العطف ، إذ المعنى
 وإنسان العناية أما كونه صلى الله عليه وسلم إنسان عين الكشف
 فلما أطلعه الله عليه من علم الأولين والآخرين ، ومن جملة علومه
 علم اللوح والقلم ، فقد أودعه الله علوماً لا تتجلى عرائسها إلا عليه ،
 ومنها علوم اللوح المحفوظ ، وهى إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ،
 وأهل النار النار . ولم يخرج من الدنيا صلى الله عليه وسلم حتى
 أطلعه الله تعالى على جميع ما أبهمه عليه من الروح وغيرها مما يمكن
 علم البشر به لأعلى جميع معلوماته تعالى ، والا لزم مساواة الحادث
 للقديم . وما خالف ذلك نحو ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ محمول على أنه
 كان قبل أن يكشف له عن ذلك ، وما تقدم أنه لم يخرج من الدنيا
 حتى أطلعه الله على ما أبهمه عليه — هو الذى يشهد له العقل ،
 ويستفاد من النقل ، فقد أمره المولى سبحانه وتعالى بأن يقول :

﴿ رب زدني علماً ﴾ وبه يتبين أنه لم يزل في كل نفس مترقياً في
الكجالات والعلوم التي لا تنهاى ﴿ حقق ذلك بعض العارفين ﴾ .
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « أورثني ربي علوماً شتى ،
فعلم أخذ على كتمانته ، وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى
الخاص والعام »

ومن هذا النوع — أعني الكشف — ما أخبر بوقوعه صلى الله
عليه وسلم من الغيوب التي اطلع عليها ، فمنها ما وقع في حياته ، ومنها
ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم : وكتب الأحاديث والسير
طالفة بذلك . وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم ، المعلومة
على وجه القطع ، وطريق اليقين المتواتر خبرها .

وما ينبغي أن يعلم : أن الكرامات الصادرة من الأولياء (ومنها
إخبارهم بالغيوب) تمتاز عن المعجزة ، إذ الخارق الذي يكون
معجزة إنما هو إن صدر من نبي للتحدى وحينئذ يسمى معجزة ،
لا إن صدر من غير نبي ، والفرق حينئذ واضح ، فاندفع قول
المعتزلة : بأن الكرامات تشبه المعجزة توصلنا إلى إنكار
الكرامات ، وهي ثابتة بالعقل والنقل بمن يعول عليه من المسلمين .
(قوله والعناية) أى وإنسان عين العناية ، والمراد بها المقامات
العلية ، والمواهب الربانية المخصوصة به صلى الله عليه وسلم .
(قوله وروح معنى جملة المظاهر) المظاهر : هي الكائنات ،

قالنبي صلى الله عليه وسلم سره سار في المظاهر كسريان الروح في الجسد ، وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، بأبى وأمى ! أخبرنى عن أول شيء خلق الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال : « يا جابر ، إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيكم محمد من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ، ولا جنى ولا إنسى . فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثانى اللوح ، ومن الثالث العرش . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء . فخلق من الأول حملة العرش ، ومن الثانى الكرسى . ومن الثالث باقى الملائكة . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ، ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم ، وهى المعرفة بالله عز وجل ، ومن الثالث نور أنسهم ، وهو التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وفى هذا إشكالان : الأول - أن الحقيقة الواحدة لا تنقسم ، وليست الحقيقة المحمدية إلا واحدة من تلك الأقسام . (الثانى) - إن أريد نور حادث فى قوله (من نور الله) كان قبله نافى أنه أول

المخلوقات ، وأن الأنوار من نوره وغير هذا لا يعقل . والجواب عن الأول - أنه لما كان النور المحمدي أول الأنوار الحادثة ، أشرق منه أنوار الحقائق فاستنارت بنوره تنوراً كاملاً بحسب ما تقتضيه حقيقة ، فظهر النور مظهر الانقسام ، فحصل في الوجود الحادث نوران : مفيض ومفاض ، وفي الحقيقة ليس هناك إلا نور واحد ، أشرق في مقابلة الاستنارة ، فتنور بتعددات المظاهر ، وكلها راجعة إلى النور الأول الحادث إما بواسطة أو بدونها . وأقرب مثال يضرب لك : نور المصباح الذي في البيت الكبير فتصبح منه مصابيح كثيرة ، وهو في نفسه باق على ما هو عليه لم ينقص منه شيء . قاله بعض شراح الدلائل . (والجواب عن الإشكال الثاني) ما نقله سيدي عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في بعض مؤلفاته عن بعضهم : أن الإيجاد إظهار (قال) : فالمعنى والله أعلم أظهره من ظهوره أي أظهره بلا واسطة بخلاف غيره ، إذ معنى اسمه النور : الظاهر بنفسه ، المظهر للأشياء - انتهى باختصار .

قال بعضهم : ولا يشكل بأن النور عرض لا يقوم بذاته ، لأن هذا من خرق العوائد ، والإضافة في قوله (من نوره) من باب الإضافة التشريفية والإشعار بأنه خلق عجيب ، وأن له شأناً مناسباً على حد قوله تعالى : ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ اهـ .

وهذا آخر ما يسر الله كتابته على هذه الآيات ، ونستغفر الله

العظيم مما ارتكبهناه من الخطيئات ، سائلين منه التوفيق لصدق
التوجه إليه قبل الممات ، مصلين ومسلمين على نقطة الوجود ،
أجل حامد وأفضل محمود ، صاحب المقام الأجل ، والسر الأعلى .

اللهم ياواصل المنقطعين ، وموصل السالكين : أوصلنا بفضلك
إلى مواطن الإسعاد ، وأدخلنا برحمتك ومحض فضلك في زمرة
الصالحين من العباد ، وصل على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله
وصحبه البررة الكرام ، ماحمد حامد على الإكمال والإتمام ، ولاح
نجم في الظلام ، وفاح مسك الختام .

وقد تم تسويد هذه الوريقات في يوم ٢٧ من شهر صفر الخير
سنة ١٣٢٠ عشرين وثلثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف
صلى الله عليه وسلم .

تقر يظ

وقد قرظ هذا الشرح العلامة العارف بالله ، أبو عبد الله على
ابن محمد بن الحسين الحبشى ، وقال حين اطلع عليه ، نفس مبارك
بارك الله في ، أحمد ، ومتع به ، .

وكذا قرظه العلامة الفاضل الشيخ عمر بن عبد المحسن الكردى
المدنى الخطيب بالمسجد النبوى تقر يظا معلولا قال في خاتمته :

شرحت صدور القوم يا ابن إمامها
 فله شرح قارنته فضيلة
 لأرجوزة لم تُلَفِ غيرك كافلاً..
 اثن زفها بكراً عروساً أباً لها
 وأمهرتها أيّ الثّمار لآلها
 وزوّجتها من قومها بابن عمها
 تبدى سناها من سنىّ معارف
 سكرنا فخرنا فاستضاءت عقولنا
 فشكراً أبا بكر لأيدى معارف
 تدوم وتبدى ما حيت فضائلاً
 بشرح شفاها بل طفى لأوامها
 كما قارنت منظومةً في انتظامها
 لحلّ معانيها ونيل مرامها
 فإنك قد نصبتّها في مقامها
 ففاقت على أترابها في احتشامها
 لها خير كفء من كريم كرامها
 رشفنا رحيق الذوق عند ابتسامها
 بضوء سناها واستضاءت رحابها
 عوارفها قد فاض فيض غمامها
 بها الشكر يبقى والثنا بدوامها

تم الكوكب الزاهر
 ويليه للمؤلف
 منهج الفضائل . ومعرج الأفاضل

منهج الفضائل ومعرج الأفاضل

للامامة الفهامة علم الشريعة والحقيقة

السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اصطفى لمحبة من شاء من أوليائه ، ووسع لهم
بفضله جزيل آلائه ، وزين لهم كنز الهداية وحسن بهائه ، وفتح
لهم بعزائمه دوائر نفوسهم الزكية ، فشاهدت أرواحهم جلال
الربوبية . بعد أن تجردت عن حجب العلائق العنصرية ، وتخلت
عن صفات الرذائل الحيوانية . وتخلت بالصفات المقدسة الملكية
والصلاة والسلام على علة الوجود ، ومنبع الفيض والجود :
سيدنا محمد صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، صلى الله
عليه وعلى آله أئمة الحضرات والشهود ، وعلى أصحابه الموفين
بالعهد .

(أما بعد) - فهذا شرح لطيف على المنظومة الحائية لسيدى
قطب الإرشاد ، العارف بالله : الحبيب عبد الله بن علوى بن
محمد الحداد الحسينى ، نفعنا الله به وبعلمه . قصدت به
إيضاح مقصود الناظم بعباراته ، وفك رموزه وإشارات ، حسبما
يظهر لى من كلام العارفين . ولست أهلا لهذا الشأن ، ولا من
فرسان هذا الميدان ، ولكن التشبه بأهل الفلاح فلاح ، والتطفل

على موائد الكرام نجاح ، وإلى الله تعالى أضرع في الهداية إلى أقوم طريق ، والسلوك إلى منهج أولى التحقيق . وهذه المنظومة من البحر الوافر ، وأجزاؤه (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) وجاء موافقاً له من آي الكتاب العزيز ﴿ أَلَا بُدْءاً لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ .

قال الحبيب نفعننا الله به وبعلمه آمين .

﴿ أَحِبَّتْنَا بِنَجْدٍ وَالصَّفِيحِ مَرَاهِمُ كُلِّ ذِي قَلْبٍ جَرِيحٍ ﴾

قوله « أحبتنا » بالنصب منادى بحذف ياء النداء ، أى يا أحببتنا . و « نجد » أرض معروفة مرتفعة . ويقال لكل ما أشرف من الأرض : نجد ، والعارفون يكونون به عن الجسم الطبيعي المطهر عن الأخلاق الذميمة . و « الصفيح » : من أسماء السماء ، ولذا يقال : ملائكة الصفيح الأعلى . والمراد بالآحبة هنا : الأولياء العارفون المتجردون عن العلائق الطبيعية ، المرتفعون عن أرض الشهوات النفسانية إلى سماء التجليات الروحانية .

قوله « مراهم كل ذي قلب جريح » المرأهم : جمع مرهم ، وهو ما يداوى به . والمراد بالقلب الجريح : القلب الذى تراكت عليه المعاصى فصيرته قاسياً . والكلام على التشبيه البليغ ، والأصل كمرأهم كل ذي قلب جريح ، لأنهم الحكماء العارفون بالطب الروحاني ،

فيداؤون بطبهم القلوب المريضة ، إذ لهم خبرة بأدواء القلوب من الغش والحقد والحسد وحب الرياسة ونحو ذلك . وهم أدلاء الناس على الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم ، فمتى أراد المولى سبحانه وتعالى لعبده خيراً أوصله إلى هؤلاء الأولياء العارفين ، ورزقه التأدب بأدابهم ، والتخلق بأخلاقهم .

قال في الحكم : « سبحانه من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه » - انتهى . بل ملاقاتهم والاجتماع بهم من أنفع الوسائل إلى المآمل ، إذا كان ذلك مع الانكسار والتخضع ، وتحسين العقيدة قال ابن بنت الميلى :

ونظرة منه إن صحت إليه على سبيل ودٍ - بإذن الله - تُغنيه .
قال شارحها ابن علان : أى نظرة من الولي إن صحت للطالب على سبيل المحبة بإذن الله رفعت من عالم الطبيعة إلى عالم القلب ، وأخرجته من ظلمة عالم الملك إلى نورية عالم الملكوت - انتهى . وهذه هى الرابطة المعروفة عند المشايخ و « مراهم » خبر مبتدأ محذوف تقديره أتم .

* * *

ثم قال الناظم نفع الله به .

﴿ عسى عطفٌ على دَنِيفٍ كَثِيبٍ حزينِ القلبِ من-كسرٍ طريحِ ﴾

« عسى » هو جواب النداء ، وما بينهما اعتراض . والمعنى :
أطلب منكم عطفة ، والتجىء إلى طلب الانعطاف منكم فأنتم أهل
الإنجاد والإسعاد . و « دنف » - بفتح الدال المهملة وكسر النون
صفة مشبهة على وزن فرح ، من ثقل في مرضه ، والمرض هنا
من الحب . والكتيب : فعيل من الكتابة وهي الحزن .

ثم قال الناظم نفعا الله به .

﴿ وهل من رحمة منكم لصبِّ صَبًا قَدَمًا إلى الأوجِ الفسيحِ ﴾

قوله « هل » اعلم أن من أدوات الاستفهام الهمزة وهل ،
فالهمزة تكون لطلب التصور ، أى حصول صورة الشيء في
الذهن كقولك : أدبس في الإناء أم عسل؟ إذا كنت عالماً بحصول
شيء في الإناء طالباً تعيينه . فالسؤال بها لطلب التصور ، وتكون
لطلب التصديق ، أى إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو لاقوعها
كقولك . أقام زيد؟ إذا كنت تصورت زيدا والقيام والنسبة
بينهما ، وسألت عن وقوع القيام منه هل هو محقق خارجاً أم لا .
فإذا قيل : قام ، حصل التصديق به ، والحاصل : أن السائل بها عالم
بأن بينهما نسبة ملتبسة بالوقوع . أو بلا وقوع ، ويطلب تعيين ذلك
وأساس ذلك أن العلم ، إما تصورى أو تصدىقي ، فالعلم التصورى

هو إدراك الشيء مفرداً ، كإدراك معنى زيد فقط . والتصديق :
إدراك النسبة ، كإدراك أن زيداً قائم أو جالس .
• وأما هل ، فلطلب التصديق فقط ، أى طلب إدراك النسبة
كقولك : هل قام زيد؟ إذا كنت عالماً بزيد وبالقيام بأن تصورتها
والتبس عليك الأمر فسألت عن وقوع القيام . وهنا قد علم الناظم
أن هناك رحمة وسأل عن وقوعها فقال : وهل من رحمة الخ أى
هل من رحمة منكم تداوون بها الصب الدنف الحزين ؟ وأنتم أطباء
الأرواح والقلوب المريضة .

(والصب) : هو العاشق (والأوج) ضد الحضيض وأوج
الجليل : أعلاه (وصبا) : فعل ماض من الصبوة ، والمراد بها
الطرب الذى وقع للأرواح فى عالم الذر عند سماع الصوت الذى
لا يكيف وهو ﴿ ألسـت بربكم ﴾ وذلك كما فى الإبريز : أن الأرواح
لما اجتمعت أسمعها البارئ جل وعلا خطابه الذى لا يكيف وقال
﴿ ألسـت بربكم ﴾ فأما أهل السعادة فاستجابوا لربهم مع الفرح
والسرور . وهناك ظهر تفاوتهم فى الاستجابة واختلاف مراتبهم
فى المشاهدة . وأما أهل الشقاوة فإنهم لما سمعوا الخطاب تكذبوا
وأجابوا كارهين ، ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه ، فحصل
لهم ذلة وانكسفت أنوارهم ، وظهر المؤمن من الكافر فى ذلك
اليوم . وإلى ما حصل للأرواح فى عالم الذر أشار العارف عمر
ابن الفارض بقوله :

شربنا على ذكر الحبيب مُدَامَةً سكرنا بها من قبل أن يُخلَقَ السكرُ

* * *

ثم قال الناظم نفعا الله به :

﴿ له رُوحٌ نَحْنُ نَحْنُ خَيْرٌ عَهْدٍ بمعهدها الأنيس من السُّفوح ﴾
أى للصب المذكور روح شأنها أن تحن وتشتاق لخير عهد ،
وهو المأخوذ على كل نسمة في عالم الذر ، كما قال تعالى : ﴿ وإذ
أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
ألست بربكم قالوا بلى . . ﴾ الآية . وقد اختلف العلماء في موضع
أخذ العهد على أقوال أصحها : أنه في نعمان الأراك كما قال الناظم
نفعا الله به آمين .

* * *

﴿ بنعمان الأراك وأى أخذٍ فقل لى عنه بالقول الصحيح ﴾
« نعمان الأراك » : واد بجنب عرقه : ذكر المفسرون في
قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك ﴾ الخ أنه موضع أخذ العهد ، وأن
المولى سبحانه وتعالى مسح ظهر آدم واستخرج منه ذريته كهيئة
الذر ، وأخذ عليهم العهد بربوبيته تعالى ، والوقوف على هذه المسئلة
يعسر جداً على غير أهل الكشف . وأنكر المعتزلة هذا الميثاق من
أصله ، واحتجوا بوجوه ذكرها العلماء - وقد أجيب عن تلك

الوجوه بما يدحضها ، واستيفاء الكلام عليها في هذا المطلب
يخرجنا عن حد الاختصار . وقد اتفق أهل الشريعة والحقيقة من
أهل السنة والجماعة على وقوع هذا العهد ، ولا عبرة بغيرهم ممن
خالفهم ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وللناظم في
تأنيته الكبرى :

ومسح يد الرحمن ظهر صفيته فأخرجهم كالذّر يوم الشهادة
فأشهدهم والكل منهم مسّيح هناك وبعد الأمر نافٍ ومثبت
وسراً خفياً خار فيه أولو النهي على صورة للصورة الأدميّة

قال العارف بالله عبد الوهاب الشعراني : ومعنى مسح ظهره
أنه أمر سبحانه وتعالى بعض الملائكة بالمسح ، فنسب ذلك
لنفسه لأنه بأمره ، كما يقال : مسح السلطان طين البلد الفلاني - وما
مسحه إلا أعوانه ، فإن الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح
ظهر آدم على وجه المماسّة ، إذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم .
وقول الناظم في هذه الآيات وسراً خفياً . . الخ هو قوله صلى الله
عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته ، وقد تكلم العلواء
في معنى هذا الحديث بما يزيل الشبهة ، فيما قالوه : إن المراد هنا
بالصورة أن الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله له .
فهذا هو معنى الصورة (١) وذكر الجلال السيوطي : أن الحديث

(١) وفي رواية أخرى: على صورة الرحمن أي على الصورة التي صورها الرحمن =

وارد على سبب . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصاً يلطم مملوكه على وجهه فقال : « لا تفعل هذا فإن الله خلق آدم على صورته فينبغي لك إكرام صورته ، انتهى . فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم .

* * *

ثم قال الناظم :

﴿ وَمِنْ بَيِّمَنَةٍ عَنْ طَوْرٍ نَفْسٍ إِلَى طَوْرِ السَّرَائِرِ وَالْمَنُوحِ ﴾^(١)
قوله : « مل » فعل أمر لكل من صلح للخطاب . وقوله « عن طور نفس » هو بفتح الطاء ، وله معان منها - وهو المتعین هنا - : الحوم حول الشيء ، إذ القصد النهى عن الركون إلى النفس . وأما قوله « إلى طور السرائر » فهو بضم الطاء . والطور - بالضم - : اسم للجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام استعاره الناظم للقلب الذي هو محل لتجليات الأسرار ، كما أن الجبل المذكور محل ذلك التجلي .

ومعنى البيت : اعدل في أيها المخاطب عن الحوم حول النفس : أى مجتنباً عن مقتضياتها ، قاصداً إلى طور السرائر والمنوح .

== في العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فإن الله تعالى لاصورة له لمباينته لخلقها ولكل ما خلق الله صورة مخصوصة في ساق العرش أظهرها الله قبل تكوينهم اهـ :

(١) السرائر : جمع سر ، وهو ما يكتم كالسريرة .

وأراد بالمنوح هنا : العطايا على خلاف القياس من منح - وبالنفس
هنا : المعنى الجامع لقوتى الغضب والشهوة ، وهو أحد معانى النفس
التي ذكرها حجة الإسلام الغزالي وغيره من العلماء . ومراد
الصوفية (١) حيث يقولون بمجاهدة النفس وغير ذلك ، ولذا
طلب الناظم التخلص عنها من حيث صفاتها المذمومة وطلب المصير
إلى طور السرائر ، والمراد به هنا : اللطيفة المدركة من الإنسان
العالمة المتحلية بصفاتها المحمودة (٢) وهى هنا صفات النفس
المطمئنة التي خرج صاحبها من عالم جنسه ووصل إلى مقام قدسه ،
الصالحة لأن يقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ وحينئذ تغلب عليها صفات الروح الزكية ،
العائدة إلى فطرتها الأصلية ، وهى التحلى بالصفات الملكية .
ويصح أن يقال لها حينئذ : القلب الذى هو محل النور الفائض
من خطاب ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ والاستقرار الموعود به
بقوله تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وهذه الثلاثة :
أعنى القلب ، والنفس والروح ، عند محققى الصوفية بمعنى واحد ؛
كما فى الرسالة القشيرية . إلا أن النفس باعتبار صفاتها الحيوانية
من الشهوة والغضب أماراة بالسوء ، وهى التى طلب الناظم الميل

(١) أى وهو مراد الصوفية الخ .

(٢) وهى المعبر عنها بالقلب ، وليس المراد به اللحم الصنوبرى المعروف

المشاهد فى الأجسام .

عنها ؛ فإذا ارتفعت عن تلك الصفات الحيوانية إلى الصفات الإنسانية ، تصير نفساً لوامة ، وهي التي تأمر بالمعاصي ؛ لكن تلوم صاحبها وتتوب ، فإذا تخلقت بالأخلاق المحمودة الروحانية ، صارت مطمئنة ، وصح أن يقال لها طاهرة ، وحينئذ هي مناط العلوم والمعارف ، ومجلى الفكرة المستقيمة . فاعلم أن اختلاف هذه الأسماء بحسب الاعتبارات .

* * *

ثم قال الناظم نفعا الله به :

﴿ لعلِّي أن أنادى من قريبٍ فما المعطى - تعالى - بالشيخ ﴾
أي لعلِّي بسبب الميل إلى طور السرائر المراد به النفس المطمئنة (١) أن أنادى من قريب . ومعنى الميل إليها : مجاهدة النفس حتى تزول صفاتها ، وتنظهر باطناً من جميع الآفات وخبائث الصفات ، وتستنير سريرة الباطن بأنوار المكاشفات والملاطفات ، بعد التمكن من المجاهدات والأعمال والعبادات ، وتصير وطنه ، ويستلذ بها بقلبه ، ويجد لها حلاوة ، ويسقط عنها التعب . ثم إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما في الحديث : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، أراد به صلى الله عليه وسلم جهاد

(١) مقضى ما سبق أن يقول : المراد به القاب ، وإن كان لكونه متصفاً بصفات النفس المطمئنة عبر بما ذكر فتأمل .

النفس . وإنما كان أكبر لأنها خداعة ، وعدو خفي بين جنبي
الإنسان . والشيطان مقترن بها ، يجري من ابن آدم مجرى الدم ؛
فالجهد منها جهاد أكبر ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ﴾ قال المفسرون : المراد جهاد النفس والشيطان . وقال تعالى :
﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة
هي المأوى ﴾ ومن ثم كان مقام مخالفة النفس أصعب ما يكون
على السالك في طريق معرفة الله تعالى . وما جعل العلماء الرياضة
إلا علاجاً للنفس لتتكف عن شهواتها ، وتقل غفلاتها ، وتنقبض
عن مألوفاتها . ذكر عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات
فقال : وما الآيات ! وما الكرامات ! هي أشياء تنقضي بوقتها ،
ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك
بخلق محمود - انتهى .

والمراد بالقريب في قول الناظم : المولى سبحانه وتعالى ،
فإنه قريب مجيب ، وهو من أسمائه تعالى . ويحتمل أن يكون صفة
لحذوف تقديره : من مكان قريب ، لما يأتي قريباً من أن النفس
إذا زال عنها الحجاب سمعت النداء من مكان قريب ، وهو معنى
قوله جل شأنه : ﴿ يأتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك
راضية مرضية ﴾ فلاهل الإشارات في هذه الآية تفاسير ، منها
ما في تفسير العلامة الصاوي : أن الله تعالى يناديها في الدنيا بهذا
النداء ، حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها : يأتها النفس

المطمئنة ارجعى إلى ربك بفنائك عما سواه ، راضية بأحكامه ،
راضية له بأوصافك ، فادخلى فى عبادى الصالحين ، أى فكونى
معدودة فيهم ، ومحسوبة منهم ، وادخلى جنة شهودى فى الدنيا
مادمت فيها ، وهى الجنة المعجلة . ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث .
ويراد بالجنة حينئذ : جنة الخلود . وفسروا بذلك قوله تعالى :
﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ أى جنة الشهود فى الدنيا التى قال
فيها العارف بالله عمر بن الفارض رضى الله عنه :

أَنِلْنَا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوبُ الأولياء تُسارع
وجنة الخلود فى العقبى . وهذا النداء يسمعه العارفون إما
فى المنام ، أو بالإلهام - انتهى مع تصرف .

وبهذا يظهر كلام الناظم . ومن المعلوم أنه لا تحصل هذه
المرتبة لأحد إلا بعد مجاهدة النفس بمجاهدة تذهب ظلمات الغفلات
لتضعف وتقوى الروح التى هى محل الأسرار ، ولذا طلب الناظم
الميل عن هذه النفس المبعدة عن الحضرات الإلهية بما لها من
الصفات المذمومة ، كي ينال المراتب العلية ، ويكون من المخصوصين
بهذا النداء المقدس المعنوى ، مستوثقاً بعروة وعده تعالى :
﴿ والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا ﴾ قال شارح الحكم بعد أن
ذكر ما ذكر من أنواع المجاهدات ما نصه : فإذا جوهدت النفس
بهذه المجاهدات ، وقوتلت بهذه المقاتلات ، رجعت عن جميع

مآلوفاتها الدنية ، وعاداتها الردية ، وزال عنها النفور والاستكبار ،
ودانت لمولايها بالعبودية والافتقار ، وزكت أعمالها ، وصفت
أحوالها ، وهذه هي خاصيتها التي خلقت لأجلها ، ومزيتها التي
شرفت من قبلها . وإنما ألقت سوى هذا المرض أصابها من الركون
إلى هذا العالم الأدنى ، والإنس بالشهوات التي تزول وتفنى ، حتى
امتنع عليها ما خلقت لأجله من موجب سعادتها ، وغاية شرفها
وإفادتها . فلما تعالجت بما ذكرناه ، عادت إلى الصحة ، وإلى
طبعها الأصلي . فألقت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة
صالحة ، لأن يقال لها ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ .

وفيه أيضاً : قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدى :
النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوء ، ولم يبق يدينها وبين
السوء نسبة ، وكانت مبادئها في الاكتساب : الإيمان والرضا
المكتسب ، فلما صفت وتطهرت من جميع المخلوقات ، وزال
عنها الحجاب الذي هو صفة الخلق ، سمعت النداء من مكان قريب ،
فأجابته لعدم الحجاب ، فخرجت للوهاب والرضا الوهي
الوصفي ، الذي قال فيه : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ فدخلت
في رضا الله المطلوب الموهوب ، وفي عباده وجنته ، لا في جنتها
بوصف كسبها وأعمالها - انتهى .

(وقول الناظم : فما المعطى تعالى بالشحيح ،) الفاء للتعليل ،
والمعنى : ارتجى ما أرتجيه ، لأن المعطى وهو المولى سبحانه وتعالى
ليس بالبخل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! وتنزه عن سمات
النقص ، واتصف بكل كمال . كيف لا ! وهو أكرم الأكرمين ،
المتفضل بالنوال قبل السؤال ، فلا يخيب من إليه التجأ ، وتعرض
لمعروفه ورحمته الواسعة . قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله
في الاحياء ، في قوله تعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
يمسك لها ﴾ ما نصه : وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم
من الله سبحانه وتعالى ، غير مضمون بها على أحد ، ولكن إنما
تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله - إلى آخر عباراته .

* * *

ثم قال الناظم نفعا الله به آمين :

﴿ وَلَكِنَّا حُجِّبْنَا بِالْأَمَانِي مَعَ الْكَوْنِ الْكَثِيفِ مَعَ الزُّوْحِ ﴾
أى لم يحجبنا المعطى وهو الله سبحانه وتعالى ، عن دخول
جنة المعرفة المعجلة لأوليائه فى الدنيا ، وعن مشاهدة أنوار العلوم
الدنية ، التى هى غاية أمنية العارفين لبخل منه ، تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً . ولكن حجبنا بالأمانى ، وبالكون والزوح
وهو البعد ، وإلا فهى مبذولة لمن تعرض لها بقلب طاهر نقي عن
الخبث ، والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ، فى الاحياء .

ما حاصله : إن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! قال: ولكن حجب الخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب ، فإن القلوب كالآواني ، فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء ، والقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله ، ولولا شغلها بغيره تعالى لارتفع عنها الحجاب ، وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : « لولا الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » انتهى .

والمراد بالأمانى : المطامع المذمومة ، وهى من أعظم الحجب التى تفضى بصاحبها إلى الردى ، قال الشاعر :

وإياك المطامع والأمانى فكم أمنيّةً جلبت مَنِيّةً
وذلك أن الطمع مما يفسد الدين ، وصاحبه مفلس من أنوار اليقين الذى هو أصل الإيمان .

وبالجملة ، فالطمع من آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها ، بل هو أصل جميع الآفات ؛ لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم ، وكل ذلك عائق وقادح .

والمراد بالكون : المكنونات، وهى الموجودات ، فهى حجاب عن الشهود ، ولذا وصفه بالكثافة . وإنما كان الكون حجاباً لأن الناس - كما فى شرح الحكم للعارف الشرقاوى -

لا يشهدون عند نظرهم للأكوان إلا هي ، ولا يشهدون مكوناتها ،
مع أنها لا وجود لها بل هي عدم محض من حيث ذاته تعالى ،
وإنما الوجود الحقيقي لله تعالى ، وما سواه لا يوصف به عند
العارفين ، إذ هم لم يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود
القيومية وإحاطة الديمومية ، ومن ثم قال ابن عطاء الله : بما يدلك
على وجود قهره سبحانه أن حجبك بما ليس بموجود معه ؛ مشيراً
إلى أن الكون عند العارفين عدم محض غير موجود مع وجود
الحق ، ومع ذلك هو حجاب ، وكان هذا مما يقضى العجب منه .
وقال ابن عطاء الله أيضاً على سبيل التوبيخ ، متعجباً من إشراق
القلب مع انهماكه في الأكوان : كيف يشرق قلب صور الأكوان
منطبعة في مرآته ؟ ! وهو على سبيل الاستفهام الإنكارى . أى
لأن إشراق القلب بنور الإيمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت
عليه من ركونه إلى الأغيار والأعيان واعتماده عليها .

وبما تقرر ظهر ما قاله الناظم نفع الله به من أن احتجاب
الأسرار عن القلوب سببه الأمانى والكون الكشيف من حيث
الركون إليه كما تقرر .

والنزوح : هو البعد عن الله تعالى لا لبخل منه ؛ تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً ! وبما يوضح هذا كلام أبي سليمان الذي سمعه منه
أبو الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتادت النفوس
على ترك الآثام جالت في الملكوت - انتهى .

وحقيقة البعد المرادة عند أهل الله : الوقوع في المخالفات ،
وارتكاب الآثام ، فتلك من أعظم الحجب ، بل من القواطع الموانع

ثم قال الناظم رضى الله عنه :

﴿ فهِتَا بِالْقُلُوبِ إِلَى حِمَاهَا وَمَغْنَاهَا وَمَوْطِنِ كُلِّ رُوحٍ ﴾

وهيا ، اسم فعل ، بمعنى : سوقوا القلوب إلى حماها ، وارجعوها
إليه . والمراد بحماها : مركزها ومستقرها من العالم الروحاني ؛
فهو موطن كل روح في الأصل . وذلك أن الروح - كما في شرح
ورد السحر للعارف الشبراوى - ملكية علوية مقدسة ؛ لكن لما
هبطت من عليين إلى أرض الطبيعة امتزجت بها امتزاج الماء بالعود
الأخضر ، وألفت الصفات التي اقتضاها الجسم ، ونسيت عهد
مولاه ، فإذا ذكرها مذكّر بعهدا القديم ، حنت واشتاقت إلى
مولاه . قال الناظم في قصيدته النائية :

يذكرها العهد القديم سماعها لترجيع تال للمثاني الكريمة

وله أيضاً في قصيدته التي أشار فيها إلى هبوط الروح بعد

مجاورتها للملأ الأعلى :

لله بارقة للقلب قد لمعت من عالم الأمر لا من عالم الصُّور

إلى أن قال :

يأبها الروح هل ترضى مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدر

وأين كنت ولا جسمٌ تساكنه ألسنت في حضرات القدس فادّكر
تأوى مع الملائ الأعلی وتشرّب من حياض أنس كما تجنى من الثمر
حتى جُعِلتَ بأمر الله في قفص ليبتليكَ فسكن من خير مختبر

ومعنى (سوقها إلى حماها) : تطهيرها من جميع الآفات ،
والصفات الذمّيات ، حتى تستنير السريرة بأنوار المكاشفات
والملاطفات . وقد تكفل بإيضاح ذلك مع أسبابه جملة وتفصيلا :
الأئمة الصوفية في كتبهم رضى الله عنهم ، سيما حجة الإسلام
الغزالي جزاه الله عن الإسلام خيراً .

• • •

قال سيدنا الحبيب نفعا به الله آمين :

﴿ فإن الروح من ملكوت غيبٍ تنزلُها بمتجّرها الريح ﴾
الفاء للتعليل : أى سوقوا القلوب إلى حماها وموطنها لأنها
من ملكوت غيب ، أى الملكوت الغائب الذى هو عالم الغيب
المحض . وأما عالم الملك فهو المسمى بعالم الشهادة من المحسوسات .
قال الإمام الغزالي : والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته ،
ولمّا هبطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن حلقته - انتهى . ولكون
الروح ليست من هذا العالم المحسوس لا تصلح إلا أن تتعلق
بالمولى . قال العارف الشرقاوى : والحاصل أن الإنسان بمجموع

شيتين : جسم وروح . وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة ؛
فهو متوقف على الكون ، فإن تعاطى منه ما يقوم به بقى فى هذا
العالم وإلا هلك ، حسبما جرت العادة الإلهية ، وليس بين الروح
والكون مجانسة ولا مناسبة ، فلا يصلح أن تكون به بل بالكون
وهو المولى جلت قدرته ، وحينئذ فينبغى السعى فى تكميلها
بالأذكار والرياضات ، حتى تزول عنها الكدورات البشرية ،
ويصلح تعلقها بحضرة الرب تعالى الذى هو شأنها الأعظم . وأما
الجسم فلا ينبغى الاهتمام بما يصلحه فإن الله متكفل به ،
ولذا قيل :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وقول الناظم : (تنزلها بمتجرها الريح) يعنى أن تنزل الروح
من نشأتها الأولى إلى نشأتها الثانية وهو عالم الأشباح لأجل
متجرها الريح . فالباء بمعنى اللام وهى لحكمة نزولها لاعلة له ،
لأن الله تعالى أفعاله منزهة عن الأغراض ، لا يبعثه شئ على
شئ كما هو مقرر فى الأصول ، ولكن لا تخلو أفعاله عن حكمة ،
وقد تظهر وقد تخفى .

والمراد بالمتجر هنا : كسب العبد الذى به تكون السعادة
والشقاوة ، فهو متجر فى فطرته السليمة والعقل الصرف ، إذ هما

رأس ماله الذى يتوصل به إلى درك الحق ونيل الكمال ، فيكون راجحاً باتباع الحق ، وخاسراً بتركه . فعلم أن قول الناظم : (بمتجرها الريح) فيه اكتفاء ، لأن المتجر كما تقرر إما ذو خسارة أو ربح .

ثم إن الحكمة فى تنزل الروح ظاهرة ، وهى أنها - كما فى كتاب الفتوح للعلامة الإييارى - وإن كانت فى النشأة الأولى صافية غير مخنجة عن كمالها ، إلا أنه بقى لها كثير من العيالات لا يمكن تحصيلها إلا بالتعلق بالبدن ، واستعمال آلات قوى ظاهرة وباطنة ، وقد جعل الله لها غايات بمقتضى الفطرة الأصلية لا بد من بلوغها إليها ، وقضى لها وعليها بمقامات لا بد أن تستوعبها ، وتبلغ غايتها التى تستحق بها ما أعد الله لها فى الدار الآخرة من العذاب الأليم أو النعيم المقيم . وذلك يتوقف على أفعال مختلفة بوسائط آلات وقوى متغايرة هى فيها كامنة موجودة بالقوة فى نشأتها الأولى فى العالم العقلى ، فاقترضت الحكمة الإلهية انتقالها من ذلك العالم إلى عالم آخر تظهر فيه الأفاعيل التى بها تبلغ تلك الغاية ، فإذا مضت مدتها المحدودة لها فى العالم العقلى حال نشأتها الأولى انسلخت عما كانت عليه من المعرفة والإدراك ، والوجود الروحاني ، وجعلت جسماً طبيعياً مادياً يوافق التعلق بالبدن الجسمى ، والهيكل الذى يبلغ أقصى غاياتها ، فافتقرت إلى البدن لا من حيث حقيقتها المطلقة .

ومن الحكم والمصالح المرتبة على تنزل الروح إلى عالم الأجسام
وتعلقها بالآبدان - إظهار ما في النوع البشرى من الاستعداد لما
ليس لغيرهم من العلوم الحقية .

ومنها - والله أعلم - ما يفهم من الحديث القدسي ، وهو :
« كنت كنز مخفياً فأحببت أن أعرف ... الخ .

ومن الحكم في تنزل الروح - القيام بوظائف العبودية
بالجوارح البشرية ؛ إذ هي مظهر العبادات التي هي الحكمة في
إيجاد الإنسان ؛ كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وما خلقت
الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ قال العارف عمر بن الفارض
قدس سره :

ولم ألهُ باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى

يريد : أن المقام الذى تغلب فيه الروحانيه لا يلبيه عن وظائف
العبودية ؛ كما أنه لم ييس بناسوته مظهر الحكمة في إيجاد الممار
إليه بقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾
واللاهوت والناسوت : لغة عبرانية ، يقولون لله لاهوت ،
والإنسان ناسوت .

(تنبيه) - حيث تقرر آنفاً أن الجوارح مظهر الحكمة في
إيجاد الإنسان فينبغى للكيس أن يبعد جوارحه عن المعاصي ،

ويعصرها فيما خلق لأجله شكرياً للمنعيم . وفي الإنسان سبع جوارح خلقت لمصالح دينية ، ومصالح ومنافع أخروية . ولنورد هنا الكلام على ذلك بما قاله علماء الدين وأرباب البصائر ؛ ففي كتاب التعرف في الأصليون والتصوف للشهاب ابن حجر ما نصه :

إحدى السبع - (العين) خلقها الله لك لمصالح (أخروية) هي النظر في الملوكوت للاعتبار بما فيه من الآيات ، تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ، (ودنيوية) هي التمتع بالمستلذات ، والخلوص عن المؤذيات ، وشكر ذلك حفظها عن كل نظر محرم ، كروية أمرد وأجنبية . وقد نظر بعض المريدين الصادقين لأمرد فأخبر شيخه بذلك ، فقال له : ستري بعد ذلك عاقبته ، فنسى القرآن بعد عشرين سنة ، وكان يقول : هذا بتلك النظرة . وكرؤيتك إلى حوزة غيرك على سبيل التجسس الممتنع . قال أبو بكر رضي الله عنه : لو رأيت زانياً لسترته بثوبي . وكما لك كفه عن كل مالا ثواب فيه ، إذ لا يذبح لمريد الكمال أن يصدر منه فعل أو كلف إلا على وفق ما طلب إيثاب عليه . ويأتي هذا فيما يأتي أيضاً .

(ثانيها - الأذن) خلقها الله لك لمصالح (أخروية) هي سماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والحكم العلية والعملية ، والإدراكات الزكية المطهرة للنفس من خبائثها ، والمؤهلة لها إلى شهود خالقها ، ولكثرة هذه الفوائد كان السمع أفضل من البصر ،

لأن أكثر فوائده دنيوية ، وأكثر فوائده السمع أخروية ، ولذا قد تجد الأعمى أكمل من كثير من البصراء ، والأصم كالحجر الملقى لا يعرف ولا يحسن بياناً . فالسمع المخلص عن هذا الموت خير من البصر المخلص عن تعطل نوع من اللذة فقط .

(ومصالح دنيوية) هي الاستلذاذ بالمسموعات ، والتوصل إلى فهم المخاطبات ، وشكر ذلك حفظها عن الاصغاء بها إلى محظور : كغيبة ونسيمة . وخوض في الباطل : كبدعة ، ومراء ، وجدال ، فإنك يا صغانتك إلى إثم تكون شريكاً لقائله ، كما قرره العلماء وأوردوا فيه من الكتاب والسنة ما يشهد له . وكصوت كوبة ، وصوت أنثى وأمرد يخشى منه الفتنة ، وصوت مزمار ولو ليراع^(١) ومن عليه ضرب خفيف^(٢) ، ومن شعر أو غيره . ولا تغتر في هذا بقوم استروحوا إلى شهوات نفوسهم ، فخللوا إستماع الأوتار والمزامير ، وغفلوا عما ورد في ذلك من الكتاب والسنة ، وما يترتب عليه مما بينته في كتابي : [كف الرعاع عن محرمات الله والسماع] .

(١) قوله : « واليراع » أقول : الأصح عند المحققين من فقهاء وصوفية عدم تحريم اليراع ، وصرح به الرافعي ، وهو عمل ساداتنا العلويين . وليعمل كلام الشهاب ابن حجر هنا على اليراع الذي به محظور ، وكان وسيلة لحرم ؛ لأن لاوسائل حكم المقاصد . اهـ . [واليراع : في الأصل قسبة ينفخ فيها الراعى ، وأطلق على آلة الزور والكوبة : بالضم اسم للزور ، وهو آلة الغناء] .

(٢) كذا بالأصل فليحرر .

(ثالثها - اللسان) خلقها الله لك (لمصالح دينية) : كقراءة القرآن والسنة والأذكار ، والعلوم وتعليمها ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونصح المسلمين ووعظهم ، وقضاء حوائجهم ، والشفاعة لهم ، والصلح بينهم ، وغير ذلك من كل ماله تعلق بما أمر به الشارع .

(ودنيوية) : كتحصيل الأموال بالعقود والحلول ، وطلب الحوائج ، والسعى في مصالح المعاش والمعاد . وشكر ذلك حفظه عما لم يخلق له من كل تكلم بمحذور ؛ كالكذب المؤذى ، وهو من أمهات الكبائر ، وغيره ، وهو صغيرة إلا الحاجة ، ليس بالكذاب من يصلح بين الناس ، . وكل خصلة سيئة قولية يبقى معها نوع إحترام وتعظيم لقائلها إلا الكذب . وإذا أردت معرفة قبجه فانظر استقباحك له من غيرك ؛ فإن ما استقبحت من غيرك تستقبحه الناس منك . وكذا في سائر الأفعال والأقوال ، فاحكم على نفسك بما تحكم به على غيرك - وكالغيبة ، والكلام فيها طويل ، ومن ثم أفردته بتأليف سميته [تطهير العيبه ، من دنس الغيبة] ، وكلف الوعد ، بالمعنى المراد في عده صلى الله عليه وسلم له من آيات النفاق ، والمراء والجدال ، ومناقشة الناس فيما لا يعنك ، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وغالباً أن أخذ هذه المعاني يكون مبدئياً للوقت عند الناس - وتركية النفس إعجاباً وتكبراً ،

أو خيلاء ، بخلافه حاجة نفوذ ما يأمر به ، وتعريفه الناس بفضله
ليأخذوه عنه ، ويعاملوه به ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إني
حفيظ عليم ﴾ ، « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، « آدم فمن دونه
تحت لوائى » - إلى غير ذلك من آفات اللسان الكثيرة ؛ فإن البلوى
به عظيمة جداً ، إذ هو أيسر السبعة معاصى ، وأكثرها وقوعاً
« وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائد
الاستغفار » ولا يعينك على السلامة من آفاته إلا العزلة ، وملازمة
الصمت إلا عند الضرورة والحاجة . أوصنى ^(١) ؛ فأخرج لسانه
وقال : كف عليك هذا . وكان الصديق يمسكه ويقول : هذا
الذى أوردنى الموارد .

(رابعها : البطن) خلقه الله لك (لمصالح دينية) ، هى إمداده
لبقية البدن مما يستحيل فيه الدم الذى هو النفس والروح عند
الأطباء إلى المنى الذى به التوالد والتناسل ، وبقاء هذا العالم ؛
فبسلامة أعضائه الرئيسية ، سلم بقية البدن من الأمراض الممانعة
من القيام بالطاعات على وجهها الأكمل - (وديوية) هى الاستيفاء
للذات المأكولات ، والمشروبات ، والمباضعات . وشكر ذلك

(١) كذا بالأصل ولعل فيه سقطاً من النسخ . وفى الاحياء عن معاذ بن
جبل قال : يا رسول الله ، أوصنى . قال : « أعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك
فى الموتى ، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ، وأشار بيده
إلى لسانه » . ١ هـ

حفظه من أن ينزل فيه حرام ، لا يدخل الجنة لحم نبت من حرام ،
أو مشتببه ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه ، ومن الشبع فإنه
يقسى القلب ، ويفسد الذهن ، ويعطل القوى الباطنة عن إدراك
المعاني الكاملة ، والعلوم الفاضلة ، واستجلاء المعارف ، واستملاء
العوارف ، ويثبط الأعضاء عن الطاعة ، وينشطها إلى المعصية ،
وينصر جند الشيطان على نفسه ، ويمكنهم من إغوائه وحسده
﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ الآية . « المؤمن يأكل
في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » ، « حسب ابن
آدم لقيمات يقمن صلبه ، إن كان لا بُدَّ فثلث للطعام ، وثلث
للشراب ، وثلث للنفس » .

(خامسها - الفرج) خلقه الله لك (لمصالح أخروية) ، هي
التوالد والتناسل « كل عمل ابن آدم ينقطع بموته إلا العلم الذي
ينتفع به من بعده ، وإلا الصدقة الجارية (أى الوقف) ، وإلا
الولد الصالح (أى المسلم) يدعو له ، نبه بالدعاء ، على أن ولد
الإنسان من آثاره وكسبه ، فيكسب له مثل ثواب جميع أعماله
الصالحة « الدال على الخير كفاعله » ، فكيف بمن هو كسبه !
ولا يكتب عليه من أعماله السيئة شيء ، فله غنمه ، وليس عليه
غرمه (ودينويه) هي التمتع ببلذته ، وبالأولاد الناشئين عن
الوطء ، الذين هم أعظم زينة الحياة الدنيا ﴿ زين للناس حبُّ
الشهوات من النساء والبنين . . ﴾ ، المال والبنون زينة الحياة

الدنيا . . . في الآيتين . وشكرُ ذلك حفظه من أن يفعل به محرماً
أو مشتهياً ﴿والذين هم لفروجهم حافظون . . . في الآية . ولا يتم
حفظه إلا بصتور العين عن النظر ، والقلب عن الفكر في محاسن
الصُّور ، والبطن عن الحرام والشبهات والشبع المؤدى إلى
التهلكات .

(سادسها وسابعها - اليدان والرجلان) خلقها الله لك (لمنافع
أخرية) هي مباشرة الأسباب الموصلة إلى رضى الله تعالى -
(ودينية) هي كسب الأموال والأغراض ، ووقاية النفس عن
المضار والأغراض . وشكر ذلك استعمالها فيما خلقت له من
الطاعات ، وحفظها أن لا تستعمل في شيء من المحظورات
﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾
فلا تؤذ يديك محترماً ، ولا تخن بهما في أمانة ، ولا تتناول بهما
محرماً ، ولا تكتب بهما محظوراً ، فإن القلم أحد اللسانين ، وكلما
حظر على اللسان ، حظر على القلم . ولا تمش برجليك إلى محرم ،
ولا إلى باب ظالم إلا لضرورة حافة ، فإن الركون إليهم السمّ
القاتل .

والحاصل - أن جميع حركاتك وسكناتك من أعظم نعم الله
تعالى عليك فاصرفها جميعها في الطاعة لتكون ممن عرف وشكر ،
ولا تجعلها في معصية ، فإنك حينئذ تكون ممن بطلت النعمة بها

وكفر ؛ فاستحق دوام النعمة والحرمان ، وعمل بالبوار والهوان
« ما بטר أحد النعمة فعادت إليه ، انتهى .

تنبيهات لها مناسبة بما تقدم .

(الأول) : لا يخفى على من نظر في المقاصد وشرحها ،
والمواقف ، وكلام الصدر الشيرازي وغيره ، واختلاف عباراتهم
التي ظاهرها التنافي بين كون الأرواح قبل هبوطها إلى الأبدان
في مبادئ تكونتها كانت خليئة عن المعارف ، أو كانت متحلية
بها ، مشغولة بشيء من العبادات في فضاء عالم الملكوت .
ومن أطلق جواد الفكر في مضمار التأمل ظهر له أن لامنافة
بين كلامهم ؛ إذ الكلام في مقامين مختلفين ، ونشأتين للنفس
متباينتين فيحمل كلام من نفى عنها المعارف والإدراك في مبادئ
تكونها ، على تكونها الجسمي في نشأتها الثانية التي تتعلق بالبدن
ويحمل كلام من أثبت لها ذلك على نشأتها الأولى في عالم الأرواح
المجردة . والمثبتون لذلك قالوا : إن النفس مجبولة على الكمالات
في نشأتها الأولى في عالم الأرواح التي هي فيها من المجردات ؛ وإلى
هذا يرشد مواقع كلام العلماء ، بل صرح بذلك سيدى الناظم
في رائيته ، حيث قال فيها مخاطباً للروح الأمرى ، رضى الله
عنه آمين :

يا أيها الروح هل ترضى مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدير

وأين كنت ولا جسم تشا كله أأست فى حضرات القدس فادكر
تأوى مع الملاء الأعلى وتشرب من حياض أنس كما تجنى من الثمر
أى تشرب من حياض أنس المعارف ، وتجنى من ثمارها ،
وتأوى مع الملاء الأعلى (يعنى الملائكة) ؛ لأن الروح من جنسها
(وبه صرح إمام الحرمین) ، وبأنها محل العلوم الإلهية ، وإنما
حجبها عنها حكم الجسد الذى امتزجت به وتسفلت ، ولذا قال
القائل مخاطباً للإنسان :

حجابك فىك وما تبصرُ وداؤك فىك وما تشعرُ
وتزعم أنك جِزْمٌ صغير وفىك انطوى العالم الأكبر
أما إشتغالها بعبادة الله فى ذلك العالم ، ففى الإبريز ما يستفاد
منه : أنها مشغولة بها ، فراجعه إن شئت . ويؤيد ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » ، فقد حقق
العلامة السبكى : أنه ليس المراد كنت فى علم الله وإلا فلا مزية
ولا فرق بينه وبين غيره من الأنبياء ، وإنما ذلك حقيقة فى عالم
ظهور الأرواح ، وأنه تعالى نبأ روحه الشريفة وأرسلها إلى جميع
الأرواح بأمر يعليه الله سبحانه وتعالى .

(الثانى) لا يلزم من كون الروح قبل تعلقها بالجسد عاقلة داركة
فى نشأتها الأولى - أن تكون عاقلة داركة عند نشأتها الثانية كذلك
من أول تعلقها بالبدن ، حتى يلزم بنفخها فى البدن أن يكون

الإنسان عاقلاً عارفاً ، ويولد كذلك . بل يجوز أن يقال : لما تعلقت بالبدن عاقبتها ظلمة العلائق الجسمية ، وشغلها تدبير البدن وتصرفها فيه عن ذلك إلا بوسائط الحواس والآلات وقواها . أفاده العلامة - الأياري في كتاب الفتوح .

(الثالث) - حيث تقرر أن الروح بحسب ذاتها من عالم القدس والطهارة ، فما يكون من الكفر هو من نشأة البدن ، لأنها ظلمانية ناقصة ، بخلاف نشأة الروح فإنها كمالية ، ويدل على ذلك حديث « كل مولود يولد على الفطرة ، والمراد بهذه الفطرة : فطرة الروح ، لأنها من عالم القدس والطهارة - أفاده الصدر الشيرازي . قال : وأما ما يكون منها من الكفر والمعاصي فذاك من نشأة البدن اهـ .

(الرابع) - أن الروح وإن كانت من صفاتها المعرفة أصالة ، فلها ما يمنعها من إدراكها وما يعينها على إدراكها . وخلاصة الكلام في هذا المطلب ما ذكره العلامة عبد الهادي الأياري بما حاصله أن النفس التي هي اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح والأعضاء ، المستخدمة لجميع المشاعر والقوى ، هي محل العلوم والمعارف في الإنسان ، وهي بحسب ذاتها قابلة للعلوم والمعارف إذ نسبتها إلى الصور العلية نسبة المرآة إلى صور المبصرات ، وإنما المانع من انكشاف الصور العلية لها أحد أمور كما في مثال المرآة .

الأول - نقصان جوهرها وذاتها ، كنفس الصبي قبل أن تقوى
في نشأتها البدنية . فإنه لا تتجلى لها المعلومات لنقصانها وكونها
بالقوة لا بالفعل ، وهذا يواز نقصان المرأة وذاتها لجوهر الحديد
قبل أن يذوب ويشكل وبسقل .

الثاني - خبث جوهرها ، وظلمة ذاتها بكدورة الشهوات ، وتراكم
الظلمات التي تحصل على وجه النفس من كثرة المعاصي : فإنها
تمنع صفاء القلب وجلاء النفس ، فلا تظهر فيها المعارف : كصدأ
المرأة وخبثها المانع من ظهور الصور فيها وإن كانت قوية الجوهر
تامة الشكل ، فإن كل حر كره من قول أو فعل وقعت من النفس
تحدث في ذاتها أثراً منه ، فإذا كانت عقلية كانت معينة لها على الكمال ،
وإن كانت غضبية أو شهوانية كانت عاتقة ، فكل اشتغال
بأمر حيواني يحدث في وجه النفس نكته سوداء ، كما يحدث
النكته السوداء في وجه المرأة وإذا تكثرت وتراكمت أفسدتها
وأفسدت جوهرها ، وذلك هو الرين المذكور في قوله تعالى :
﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وفي الحديث : من ترك
جمعة اسود ثلث قلبه ، ومن ترك جمعيتين اسود ثلثا قلبه ، ومن ترك
ثلاث جمع اسود قلبه كله ، ومن هنا قال سيدنا الإمام الشافعي
رحمه الله تعالى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعامى
(فإن قيل) : فإن كثيراً من خول العلماء بل من أئمتهم فسقة ،
بل كفرة ككثير من أئمة النحو والأدب ، وككثير من أئمة
الحكمة والنجوم والطب والهندسة وغير ذلك؟ (فالجواب) كما يظهر
أن يقال : لعل المراد أنه الغالب ، أو ذلك بالنظر إلى العلوم
الشرعية التي تقارن الخشية ، فتثمر لصاحبها امتثال المأمورات ،
 واجتناب المنهيات ، والتخلي من مذام الصفات . والتخلي بمحامدها ،
أو المراد كما يظهر من كلام الإمام الشافعي علم القلوب ،
والمشاهدات التي هو نتيجة التقوى ، وعلم المعرفة واليقين الذي
هو من مزيد الإيمان وثمره الهدى .

(الخامس) - حيث تقرر أن الروح محل العلوم الإلهية لأنها من
جنس الملائكة ، وأن الذي حجبها عن إدراك تلك العلوم حكم
الجسد - فاعلم أن هذا الحجاب يرتفع عن العبد باستعمال الرياضات
الشرعية بشروطها المقررة ، وكالمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ،
فتظهر للقلب حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر حينئذ .
قال القطب العارف بالله شيخ بن عبد الله العيدروس
في كتابه (حقائق التوحيد ورقائق التفريد) ما حاصله - بعد
أن ذكر ما ذكر - فإذا أخذ العبد في الرياضات أخذت الحجب
في الارتفاع ، لأنه إذا قلل الطعام والكلام والنام ، والاختلاط

بالانام سقط قيد الجسم عن الروح ، فإذا أضيف إلى ذلك ترك العادات ، كالجزع والاسترسال مع الخواطر، والتشوف إلى ما للناس فيه ، والفرح بالحاصل ، والحزن على الفاتت وأمثال ذلك ، تخلص الروح من سجن الطبع ، وطار في فضاء عالم الأرواح ، فإذا أضيف إلى ذلك ترك القياس بالعقل عند طلب معرفة الأمور ظهرت له الأشياء على ما هي عليه ، فلا يحجبها الجدران ، ولا يمنعها بعد المكان والزمان ، وقد ترى الأشياء بالعين الشحمية لاتحاد نور القلب بالعين ، فحينئذ جاز أن يسمى قلبه بالروح ، وأن تسمى روحه بأم الكتاب - انتهى .

وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن قد ذكرها الإمام الغزالي في الإحياء . وأما أركان الرياضة فهي أربعة معروفة : ذكرها العلماء مفصلة الكيفية ، وهي : السهر ، والجوع ، والصمت ، والخلوة . وأكل الحلال شرط لمن رام الوصول إلى حضرة القدس ، ومقام الكشف والشهود ، إذ لا تنور البصيرة إلا بالحلال ، ولا وصول إلا لمن تنورت بصيرته . وكذلك التفرغ عن العلائق والعوائق ، وتطبيق الأعمال على قانون الشريعة وميزان السنة ، وتجريد القلب عن شواغل الخواطر ، وتركيز النفس عن كل خصلة مذمومة، وإطلاق الروح عن عقال الشهوات النفسانية ، وتجريد الذهن عن العلائق البدنية ، والعادات الطبيعية

والتوجه على الدوام إلى العوالم الروحانية ، والتخلي عن مقتضيات
الطبائع البشرية ، والتخلي بالخصال الملكية ، وملازمة جميع
ما يتعلق بتوحيده تعالى من الذكر وسائر العبادات ، بل هو جلاء
الصدأ للقلوب كما في الحديث ، وعليه المدار في هذا الباب .

ثم قال الناظم رضى الله عنه ونفعنا به آمين :

﴿ وإن الجسم من طين وماء يميل إلى الحظوظ بكل ربح ﴾
يعنى أن جسم الإنسان خلق من ماء وطين ، باعتبار أصل
الأجسام الآدمية وهو آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ خلق
الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ في سورة الرحمن ، وفي الحجر :
﴿ من حمأ مسنون ﴾ ، وفي الصافات ﴿ من طين لا زب ﴾ ، وقال
تعالى في سورة آل عمران : ﴿ كمثل آدم خلقه من تراب ﴾
وكل ذلك متفق المعنى ، قاله الخطيب في تفسيره .

وتوضيحه : أن جسم الإنسان خلق باعتبار أصله من العناصر
الأربعة : الماء ، والتراب ، والهواء ، والنار المستمد من الهواء قال الخطيب :
فالأرض أمه ، والماء أبوه ، ومزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى
هو من فيح جهنم . فمن التراب جسده ونفسه ، ومن الماء روحه
وعقله ، ومن النار غوايته وحدثه . ، ومن الهواء حركته وتقلبه
في محامده ومذامه . فالغالب في جسده التراب ، فلهذا نسب إليه

وإن خلق من العناصر الأربعة - انتهى .

(قوله يميل إلى الحظوظ بكل ريح) أى يميل إلى حظوظها وشهواتها بكل ريح ، أى هواء فإن ذلك من شأنها ، إذ الماء والطين لهما مناسبة للهواء ، لكون الجميع من العناصر الأربعة ، والعنصر الرابع مستمد من الريح كما تقرر . وسبب ميل الجسم إلى الريح ما فيها من اللطافة والليونة التى يميل إليها كل من أحب الراحة . وحبها سبب لفوات كثير من الخيرات ، قال الشاعر :

جمع الهواء مع الهوى فى أضلعي فتكاملت فى مهجتي ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى ودُرجت بالمقصود فى أكفاني
وبما تقرر ظهر الفرق بين الروح والجسم ، وخيرية الروح على الجسم مما لا يخفى ، ولذا قال الحبيب رضى الله عنه فى بعض منظوماته .

نعم عالم الأرواح خير من الجسم وأولى ولا يخفى على كل ذى علم

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه :

﴿ فوجّه حيث شئت فأنت مما له وجهت فاختر للمليح ﴾
أى وجه نفسك حيث شئت ؛ لأنك مما وجهت له نفسك .
والمعنى : أن لك أيها الإنسان قابلية إلى الكمال إن شئته ،
وإلى الضد كذلك . وتحقيق هذا : أن كل نفس بحسب السابقة

صالحة لأن تعرف حقائق الأشياء ، لأنها أمر رباني فارق سائر
جواهر العالم . وما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن
الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات »
إشارة إلى هذه القابلية وإن تفاوتت المراتب بحسب الاستعدادات
فقد أفلح من زكاهما . وقد خاب من دساها ۞ فإذا يصير بهيمية
الصفات إذا جنح لأسباب ذلك ، وملكى الصفات إذا تعاطى أسباب
ذلك . قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : إن
الإنسان درجة متوسطة بين الدرجتين ، فكأنه مركب من بهيمية
وملكية . والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية ، إذ ليس له أولاً
من الإدراك إلا الحواس ... إلى أن قال : وكذلك المتولى عليه .
أولاً شهوته وغضبه ، وبحسب مقتضاهما انبعثه إلى أن تظهر فيه
الرغبة في طلب الكمال ، والنظر في طلب العافية وعصيان مقتضى
الشهوة والغضب . فإن عصى الشهوة والغضب حتى ملكهما ، وضعفان
تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شهماً من الملائكة : وكذلك إن فظم نفسه
عن الجموح والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك عن أمور تخيل
أن يناها حس أو خيال أخذ شهماً آخر من الملائكة ، والملك قريب
من الله ، والقريب من القريب قريب - انتهى . وبذلك ظهر معنى
قوله : ۞ فاختر للمليح ۞ أى الأحسن ، وما هو إلا الأخلاق الملكية
التي بها تنال السعادة الأبدية . وظهر أيضاً معنى قوله ۞ فأنت بما له

وجهت ﴿ إذ الإنسان لابد أن يتوجه إلى الصفات البهيمية
أو الملكية : وقد تقرر في كلام الغزالي : أن الإنسان كأنه مركب
منهما .

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه آمين :

﴿ وجانب كل سفساف ونكر من الأخلاق والعمل القبيح ﴾

(قوله : وجانب) معطوف على قوله (فاختر للمليح) وحاصل
كلامه : أنه أرشد إلى التحلى بقوله : فاختر للمليح) وإلى التخلي
بقوله : (وجانب كل سفساف) والتخلي - بالخاء المعجمة - عبارة عن
الاتصاف بكل محمود . والتخلي - بالخاء المعجمة - عبارة عن التنزه
عن كل مذموم . والمليح . هو الحسن شرعا . والمراد بالسفساف
كل أمر دني لا يشمر إلا الحزى والوبال . والنكر من الأخلاق :
منكراتها ، وهى كثيرة ، ذكر منها الإمام الغزالي فى الإحياء فى
ربع المهلكات . وذكر علاجها وأسبابها . وأنهاها العارف
النايلسى إلى ستين (أعنى منكرات الأخلاق) وذكر حجة الإسلام
أيضا الخصال المحموده فى كتبه .

(قوله والعمل القبيح) المراد بالعمل القبيح : ما قبحه الشرع
من المنهيات . فمن لم يكن شأنه ترك المنهيات وفعل المأمورات
فهو متعرض لسلب الإيمان والعباد بالله . قال الناظم نفع الله به :
على الإنسان الاجتهاد فى حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أمر به

من طاعة الله تعالى ، فإن المضيع لأوامر الله متعرض للموت على غير الإسلام ، فإن تركه لذلك دليل على استهائه بحق الدين ، وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، وعليه أيضاً أن يجانب المعاصي والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه ، وتزلزل قواعده ، وتعرضه للعطب عند الموت ، كما وقع (والعباذ بالله) لكثير من الملائسين لها والمصرين عليها . وفي قوله تعالى : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ ما يدل على ذلك ، فتأمله ، وخذ نفسك بامثال أوامر الله تعالى ، واجتناب محارمه ، وإن وقعت في شيء منها فتب إلى الله ، واحذر كل الحذر من الإصرار عليه ، ولا تزال سائلاً من الله حسن الخاتمة - انتهى .

قال الناظم :

﴿ وسافر في السبيل إلى المعالي بجدٍّ واستمع قول النصيح ﴾
أمر رضى الله عنه بالسفر ، والمراد به السير المعنوى إلى الله تعالى بقطع عقبات النفس إلى المقامات العلية - قال في الرسالة : واعلم أن السفر على قسمين : سفر بالبدن . وهو انتقال من بقعة إلى بقعة وسفر بالقلب ، وهو ارتقاء من صفة إلى صفة . قال شارح الرسالة الشيخ زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى ما نصه : بأن يسافر عن

شهواته بقلبه ، ويتيقظ لإصلاحه بنقله من الأخلاق الذميمة إلى الحميدة بمجاهدة نفسه إلى أن يصل إلى مقام التوحيد ، وكال الأنس بقربه ، ودوام ملاحظته له ، وشتان ما بين سفر الأبدان وسفر القلوب ، وسفر القلوب لا يستغنى عنه مسافر ولا مقيم ، لأنه إنما جعل للنقل من الصفات الذميمة إلى الحميدة ، وسفر الأبدان قد يكون من الوسائل إلى سفر القلوب ، إذا كان لطلب العلم النافع لله تعالى ، ولطلب الدليل المرشد بقوله وفعله . وقال الشيخ مصطفى العروسي في حاشيته على شرح الرسالة : اعلم أن السفر سفران : أحدهما - الانتقال بالأجسام من جهة إلى جهة أخرى ، لمقصود من المقاصد الواجبة أو المندوبة : كحج وزيارة ورياضة . وثانيهما - سفر القلوب وانتقالها من مواطن الغفلة والشهوات إلى مدارج أرباب السعادات ، وهو لا يكون إلا واجباً لمن أراد الوصول ونيل المأمول - انتهى . وفي معنى السفر إلى المعالي : التفكير في مصنوعات الله تعالى التي اشتملت عليها السماء والأرض وعليه كما في الرسالة قول شيخ من شيوخ الطائفة ، وله على لسان الصوفية تصانيف ، لما سأله بعض الناس : هل سافرت أيها الشيخ ؟ فقال له : تريد سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا ، وسفر السماء بلى (أى سافرت) فالمراد بسفر السماء : التفكير فيما اشتملت عليه من عجائب مصنوعات ، وآثار باهر قدرته . بل هذا السفر أشد تأثيراً في القلوب من السفر بالأبدان ، إذ السفر

بالأبدان لا يتجاوز إلى العالم العلوى ، بخلاف السفر بالتفكر :
قال سيدنا الناظم :

وصفّ من الأكدار سرّك إنه إذا ما صفا أولاك معنى من الفكر
تطوف به غيب العوالم كلها وتسرى به فى ظلمة الليل إذ يسرى
والتفكر مطلوب ، إذ هو كحل البصيرة ، قال الله تعالى :
﴿ أولم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ وفى الحكم
العطائية : ما نفع القلب مثل عزلة تدخل بها ميدان فكرة .

(قوله بجد) الباء للمصاحبة ، متعلقة بسافر ، أى سافر بجد -
والمراد به : الأخذ بالعزائم وتحمل أثقالها ، ومواصلة نوافل
العبادات الموجبة لحب الله . قال سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن
سميط نفع الله به :

وأفضل ما أدبته الفرضُ فالذى يُنبئك حب الله وهو نوافله

فمن أراد تقديس روحه والوصول إلى مقامات أهل القرب
فلا بد أن يستعمل رياضات الحكاء الإسلامية ، حتى تستولى على
روحه ونفسه ، ويتخلى عن أحكام جميع القوى والحواس
الظلمانية . ولا بد من مراعاة الشروط على ما شرحه الإمام الغزالي
وغیره من أئمة الدين . وينبغى اغتنام الأوقات والساعات ، لئلا
يضيع العمر فى البطالة ، قال سيدنا الناظم :

واعمرُ بأوراد العبادة عمرك الـ - فاني وساعات الزمان المزمع
(قوله واستمع قول النصيح) النصيح: بمعنى الناصح هنا، وهو
باذل النصيحة التي هي من أعظم خصال الدين ، ففي الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال لله
عز وجل ولكتاباه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين
وعامتهم ، قال الشهاب ابن حجر في شرح هذا الحديث : أى
يارشادهم لمصالحهم في أمر آخرتهم ودنياهم ، وإعانتهم عليها بالقول
والفعل . إلى أن قال : وتعهدهم بالموعة - انتهى . ويجب على
المنصوح قبول النصيحة ، وإلا دخل في عموم من لم ينتفعوا ولم
يتعظوا ، القائلين: (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين)

* * *

قال الناظم رضى الله عنه:

﴿ ولا تؤثر على الرحمن شيئاً تعالى قابل التوب النصوح ﴾
أى لا تؤثر على الرحمن شيئاً ، بل أثر الرحمن على كل شىء .
والإيثار تقديم الغير على النفس وحفظها الدنيوية ، رغبة في
الحفظ الآخرية . وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة ،
والصبر على المشقة ، كذا في تفسير الخطيب . وعليه : فإيثار العبد
مولاه على كل شىء يرجع معناه إلى الإعراض عن السوى ، والإقبال

على الله سبحانه وتعالى ، وإيثار رضا ، والقيام بالأوامر مع اجتناب المنهيات ، والرضا بالقضاء ، والجد في كل ما يقربه إلى الله ، والصدق والإخلاص مع التبصر من الحول والقوة ، ويكون قصده في جميع ذلك رضا مولاه ، الذى هو منتهى مقامات العارفين المعبر عنه بالمقام العاشر كما في الكبريت الأحمر .

ومن لوازم إيثار العبد مولاه على كل شئ بالمعنى المذكور : التحلى والتخلى طلباً لمرضاته . ومتى أثر العبد مولاه أثره المولى ، لأنه سبحانه وتعالى يجازى من أطاعه أحسن الجزاء . ويرجع معنى إيثار المولى عبده إلى إثابته ، أو إرادة الثواب له ، فيكون صفة فعل أو صفة ذات .

واعلم أن إيثار الله لعبده بالمعنى المذكور ، سببه غالباً إيثار العبد لمولاه بالتقرب بالطاعة ، والموافقة في جميع مراداته سبحانه وتعالى ، حتى يتحقق إعراض العبد عن السوى بكليته مقبلاً بدوام الشهود ، كما يشير إلى ذلك حديث : « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » ، وذلك يفيد أن طاعته تعالى هى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، وولايته ومحبته . قال سيدنا الناظم فى التائية الكبرى :

عبادُ كرام آثروا الله ربهم فآثرهم واختصهم بالولاية
(قوله قابل التوب النصوح) أى الذى يقبل التوبة عن عباده

المذنبين ، قال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ والتوبة النصوح هي الخالصة ، بأن تكون لله وحده ، لا لغرض من الأغراض ولو أخرويا ، فإن ذلك يؤثر في كمال التوبة وإن لم يؤثر في أصلها فينبغي للعبد أن لا يترك التوبة وإن لم تكن كاملة . لعل الله يقبلها وعلامة التوبة النصوح : أن لا يبقى في قلب التائب حلاوة ذلك الذنب التائب منه ، ولهذا كان سيدنا إبراهيم المتبولي قدس سره لا يحتمل مدة عمره ، وكان قد بلغ من العمر مائة سنة وسبعة أشهر وكان يقول من زعم أنه تاب من الزنى ثم احتلم بعد ذلك يدل على بقاء حلاوة تلك المعصية في قلبه ، ولولا وجودها ما تفكر واحتمل وفي الحديث : « التوبة النصوح : الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » . وأنشد البوصيري .

ارتجى التوبة النصوح وفي القلب سب نفاق وفي اللسان رياء
قال شارحها الشهاب ابن حجر الهيثمي رحمه الله : أى أو مل
بحسن ظن عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيراً » .

* * *

ثم قال سيدنا الحبيب عبد الله نفعنا الله به آمين :

﴿ إِلَهٌ وَاحِدٌ مَلَكٌ عَظِيمٌ تَسْبِيحُهُ مَلَائِكَةُ الصَّفِيحِ ﴾

(إله واحد) أى معبود واحد ، أى متفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو واحد فى ذاته فلا ينقسم ولا يتجزأ - وفى صفاته فلا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء - وفى أفعاله فلا شريك له فيها (قوله ملك) أى من له الملك ، وهو المتصرف فى المخلوقات بالتدبير دون احتياج ولا حرج عليه مع العظمة والجلال (قوله عظيم) أى المستحقر بالنسبة إليه كل من سواه (قوله تسبحه ملائكة الصفيح) أى تسبحه ملائكة السماء ، قال تعالى فى محكم كتابه : ﴿ فالذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ يعنى الملائكة كما فى التفاسير . وهذا آخر ما لخصناه على هذه الآيات ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

* * *

وليعلم الناظر فيما عنيت بجمعه : بأن الحامل على وضع هذا الشرح : التبرك بخدمة كلام الناظم ، رجاء أن يدخلنى الله فى كنف ولايته ، وينفعنى ببركته ، وتقيد ما استحضرت من معانى هذا النظم الوجيز المشتمل على المعنى العزيز ، الذى أودعه الصوفية فى مصنفاتهم ، وترغب النفس فى اقتفاء الطريقة المرضية ، وتصفية الفؤاد والاجتهاد فى طلب الكمال ، وتحقيق الأحوال . ثم إنى أظهر حالى ، تبرأ بلسانى وجنانى ، من الدعوى لئلا يغتر من وقف على ما جمعته هنا من كلام الأئمة ، فيظننى بمن ذاق شيئاً من أسرار الطريقة ، أو تخلق بأخلاق أهل الحقيقة . فمن ظن ذلك فى فقد رمى إلى غير مرمى ، ورأى السراب فحسبه

ماء ، لكننى أسأل الله أن يبعدنى من ذل المعصية ، ويحفظنى منها ،
ويرزقنى العلم والعمل ، ويوفقنى لما يرضاه ، ويخلصنى من أسر
النفس والشيطان ودواعيه ، ويطهر ظاهرى وباطنى بامثال
أوامره ونواهيه .

وكان الفراغ من تبليغ هذه النسخة يوم السابع من جمادى
الأولى سنة ١٣٢٠ هـ . تم ما أردت نقله والحمد لله ، وصلى الله على
سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وسلم تسليماً
كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

تقريظ

وقد قرظ هذا الشرح الإمام العارف بالله السيد أحمد بن حسن
العطاس العلوى ، بقوله حينما قرئ عليه رضى الله عنه : « هذا
الكلام لا برعم فيه ، متع الله بأحمد وكثر من أمثاله » .

* * *

ويليه للتوافت

شرح صيغة صلاة للعارف بالله على بن محمد الحبشى

صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

للعلامة العارف بالله تعالى

علي بن محمد بن حسين الحبشي

رحمه الله

بشرح العلامة الفهامة

السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط الحضرمي

رحمه الله

صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

بسم الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم باللسان الجامعة ، في الحضرة الواسعة ،
على عبدك الجامع للكمالات الإنسانية ، الواسع في المشاهد
الروحية ، عدد الحركات والسكنات ، والخطرات واللحظات .
وعدد المصلين عليه ، وعدد صلواتهم ، وعدد الذاكرين له ، وعدد
أذكارهم ، وعدد الذاكرين لله ، وعدد أذكارهم - صلاة يقر نورها
في أذني فلا تعصى ، ويقر نورها في عيني فلا تعصى ، ويقر نورها
في لساني فلا يعصي ، ويقر نورها في قلبي فلا يعصي ، ويقر نورها
في جسدي كله فلا يعصي . اللهم أوصلني إلى حالة لا يعمل فيها قلبي
بمخالفة ولا يهيم بها ، ولا تقارف فيها جوارحي معصية . وبلغني
إلى مقام لا يفتر فيه قلبي عن طاعة لك ، مرضية لديك ، مقبولة
عندك . ولا تنفك جوارحي فيه عن عمل صالح لوجهك ، مقبول
لديك . يا أرحم الراحمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله واجب الوجود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود ، وعلى آله أئمة الحضرات والشهود ، وأصحابه الموفين بالعهود (وبدد) - فالسيد الكامل ، التقى العامل والدنا العلامة « أبو بكر بن عبد الرحمن » من آل الشيخ أنى بكر بن سالم المعروف بمنصب الساكن بلدة (لامو) من أرض السواحل - التمس منا لإيضاح بعض معاني صيغة الصلوات على خير البرية ، التي هي من أنفاس العارف بالله ، مرشدنا ودليلنا إلى الله « على بن محمد بن حسين الحبشى » فأوردت له ما تراه هنا مختصرا بحسب الحال .

وليكن معلوما أن صيغ المشايخ من الصلوات على خير البرية ، وأحزابهم المتلقاة عنهم هي صفة أحوالهم ، ونكتة منازلهم ، وميراث علومهم وأعمالهم ، ومزوجة بأحوالهم ، مؤيدة بعلومهم ، مسددة بإلهامهم ، مصحوبة بكراماتهم . وقد قال العارف ابن عطاء الله : كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز^(١) أو كما قال رضى الله عنه ودونك ما أشرنا إليه .

(١) هذا لفظه فى حكمه ؛ رضى الله عنه .

قوله رضى الله عنه عليه السلام باللسان الجامعة الخ عليه السلام يراد باللسان الجامعة :
الصيغ الجامعة ^(١) للصلوات على خير البرية ، وهي أئمتها وأعلامها
وأجمعها لكل خير وأرفعها وقد اكتفى بهذا التعبير عن التفصيل
الذى ذكره العارف الجزولى وغيره .

والمراد بالحضرة الواسعة : : حضرة القدس ومحل القرب ،
والمشاهدة والسماع للوحي . وأهل هذه الحضرة أعلى في الجملة من
الجن والإنس . والقصد ^(٢) طلب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
في تلك الحضرة من بين أهلها صلاة خاصة تخصه من بينهم . أو على
معنى أنه يصلى عليه معهم ، ومن جملة من يصلى عليه في تلك
الحضرة . أو على معنى حصول الصلاة من الله تعالى ، ومن كل جمع
من أهل تلك الحضرة ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الآية ومعنى بالحضرة الواسعة حضرة
الملائكة العلوية ، ومحلهم السماء .

(١) يطلق اللسان على الكلمة والكلمات والصيغ التى ينطق بها ، وهو
مؤنث . ولذا وصف بالجامعة .

(٢) يشير إلى أن المقصود من طلب حصول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
في تلك الحضرة تخصيصه من بين أهلها بصلاة خاصة تليق بمزيد فضله عليهم . أو
أن يكون من جملة من يصلى الله عليهم فيها لشرفها . أو أن يصلى عليه كل جمع من
أهلها مع الله تعالى لشرفهم ؛ فاللهووظ في الأول مزيد شرفه صلى الله عليه وسلم ،
وفي الثانى شرف تلك الحضرة . وفي الثالث شرف أهلها . تأمل .

(قوله على عبدك الجامع) الخ . ذكره صلى الله عليه وسلم بأشرف أسمائه الذى حضه المولى به فى المقامات العظام ، كقوله : ﴿ ولما قام عبد الله ﴾ و ﴿ سبحان الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ ووصفه هنا سيدى العارف قدس سره بالجامع للكمالات الإنسانية ، إذ هو الجامع لما تفرق فى غيره من الكمالات والعلوم والمعارف ، والبركات والمعجزات . ودخل فى قوله (الجامع للكمالات) الخ ، ما حواه من الصفات الجمالية الظاهرية والباطنية التى لا تحصر ، وكفى قوله تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وتفصيل ماله من المحامد لا يدرك ، بل لا يدرك حقيقة فى الدنيا أحد .

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقة قوم نيام تسألوا عنه بالحلم

أيمدح من أثنى الإله بنفسه عليه فكيف المدح من بعد إنشاء
والذى يعتقده أهل الحق : أن فى هذا الرسول العظيم قد اجتمع
من خصال الكمال وأوصاف الجلال ونعوت الجمال (١) ما لم يجتمع
فى غيره مما لم يشركه غيره إلا فى أسمائه .

كيف ترقى رقيك الأنبياء باسماء ما طاولتها سماء

(١) فى الأصل « الكمال » وما أثبتناه هو المناسب لما سبق . تأمل ،

(قوله الواسع في المشاهد الروحية) المشاهد : جمع مشهد ، وهو ما تشاهده العيون مطلقاً . وحيث أضيفت إلى الأرواح فهي مشهودات خاصة لأهل الشهود ، تشاهدها القلوب بأعين البصائر . والتعبير عن هذا المقام يضيق لأمثالنا ، ويصعب على أفهامنا ، لكن الميسور لا يسقط بالمعسور ، وقد أمر بالسير كل أعرج ومكسور . وهذا الباب واسع الأطراف ، ففي قوله (المشاهد الروحية) يريد بالمشهد محل الشهود ، أو محل الشهادة . ويرجع معنى كل إلى ما تشاهده القلوب بعد تجردها عن الأغيار ، ولذا نسبها إلى الروح . وما يوضح ذلك ويشير إلى هذا المشهد قول العارف بالله ، قطب الإرشاد الحداد في بعض منظوماته :

مناظر للنواظر من قلوبٍ مطهرةٍ زكياتٍ نقيةٍ
وأرواح تطير إلى علاها بأجنحة الغرام المقعدة
وذكر هذه المشاهد بلفظ الجمع ، لأنها باعتبار أربابها أقسام : إذ هي شهود أفعال ، وشهود أسماء وصفات للعارفين . وشهود الذات المنزهة عن الكيفية والمثال ، فكل قسم مشهد للعارفين . أما شهود الأسماء : فشهود مسماها قبل رؤية مظاهرها ، وهذا مقام العارفين ، وشهود المظاهر قبل شهود ما دلت عليه المظاهر ، وهو المولى مقام العلماء المستدلين بالآثار ، ولذا قيل : إن العارف يرى الله قبل الآثار ، ويستدل بالله على ثبوت الآثار .

والمحجوب يرى الآثار قبل شهود الله ، فيستدل بالآثار على الله (١) .
وهذه المشاهدات تتميز بحسب مقامات أربابها من الأنبياء
والأولياء ، وشهود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يساويه شهود
أحد . وهذا معنى قول صاحب الانفاس قدس سره في الواسع
في المشاهد . . (الخ . وكفى فيما خصه الباري سبحانه وتعالى ،
وأشهد به عين البصر وعين البصيرة قوله جل وعلا : ﴿ ولقد رأى
من آيات ربه الكبرى ﴾ ، قوله تعالى . ﴿ ليريه من آياتنا الكبرى ﴾ .
(قوله عدد الحركات) وما بعده من المعطوفات ، ظاهر المعنى .
والمراد تكثير الصلوات .

(قوله يقر نورها في أذني . .) الخ يختلف معنى النور بحسب ما
ينسب إليه ، فنور الأذن : كاشف للسموعات . ونور البصر :
كاشف للبصرات ، ونور اللسان وسائر الجوارح : ما يبدو عليها
من أعمال الطاعات .

(١) في الحكم العطائية تسمية الفريق الأول بأرباب الجذب ، وهؤلاء
يكشف الله لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرحمهم إلى التعليق
بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، وتسمية الفريق الثاني بالسالكين ، وهؤلاء
على العكس ، يظهر لهم الآثار فيستدلون بها على الأسماء ، وبها على الصفات ، وبها
على كمال الذات ، فنهاية السالكين : بداية المجذوبين . وبداية السالكين : نهاية
المجذوبين . فتأمل وقوله المحجوب : في الحكم : « الحق ليس بمحجوب ، وإنما
المحجوب أنت عن النظر إليه ؛ إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له
سائر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ؛ وهو القاهر فوق
عباده » اهـ .

(قوله اللهم أوصلني إلى حالة الخ) ، طلب نفع الله به من المولى أن يوصله إلى مقام الصديقين ، الذين تحققت فيهم الأحوال التي ذكرها ! وطلب أن يتحلى بها ، وهي عدم فتور القلب عن الطاعة ، وأن لا تنفك جوارحه عن الأعمال الصالحة ، ولا تقارف جوارحه معصية ، وهي حالات من غلب عليهم سلطان الحقيقة وصارت العبادات ذوقية لهم ، وسقطت عنهم التكاليف من هذه الحيثية . وقد اشتهر من كلام القوم : أن العبد قد يصل إلى مقام يسقط عنه التكليف . وخبط في هذا القاصرون الذين هم تحت أسر النفوس ، ففهموا من هذا خلاف المراد وهيئات - لا تسقط التكاليف عن أحد وإن بلغ ما بلغ ! ولكن المراد : أن لا يحس بكلفة في أعماله ، لأنها صارت ذوقية . فانظر في الإحياء حكايات الخاشعين والعباد ، فما هي إلا عن هذا المجال . نعم ؟ قد تكون العبادات جارية من شخص جل أوقاته أو كلها وهو غير متلبس بالعبادات الظاهرة ، بأن تكون أعماله قلبية . وقد تسكلم عليها المشايخ ، وعلى أفضليتها على أعمال الجوارح وفضل ذوبها ، وهذا بحر لا ساحل ، ومورد لا أول له ^(١) . وربك الموفق ، وعليه

(١) لا بد للكلف شرعاً فيما بينه وبين ربه من الجمع في عبادته بين عمل القلب والجوارح ؛ قال سيدي علي الحواس : ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلي ويصوم ، ويقف على الحدود . ولكن هؤلاء لهم أماكن مخصوصة يصلون فيها من الأماكن المشرفة ، أو التي انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها ؛ فأرادوا جبر خاطرها وإكرامها بالصلاة فيها له .

المعول ، وما توفيقى إلا بالله ، عاينه توكلت وإليه أنيب .
تم الشرح بتوفيق الله تعالى

* * *

وتم تصحيح هذه الشروح ومقابلتها بأصولها المنقول عنها فيها
حسبما تيسر بمعرفة أحد أفاضل علماء الأزهر . في غرة رجب
سنة ١٣٨١ هـ وأنفق على طبعها محب صالح تقى يرجو من الله تعالى
التوبة والقبول ومن القارىء الدعاء له بالخير والمغفرة والستر
الجميل أحسن الله إليه وجزاه الله خيراً .

ترجمہ

مؤلف هذه الرسائل - رحمه الله -

هو العلامة المحقق صاحب اليد الطولى في علوم الإسلام .
والمشهود له بالفضل من العلماء الأعلام شهاب الدين الشريف
(أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سميطة) العلوى
الحسينى الحضرمى الشافعى . ولد بجزيرة انجزيمة في زنجبار لخمس
خملت من رجب سنة ١٢٧٧ هـ ، وتلقى طرفاً صالحاً من العلوم
على والده ، ورحل إلى حضرموت سنة ١٢٩٨ هـ كما أوصاه والده
وأقام بشبام وتزوج بها وتردد إلى سييون وتريم وأخذ بهما العلم
عن كثيرين من العلماء الراسخين ثم عاد إلى زنجبار وتولى قضاءها
سنة ١٣٠٠ هـ ثم تاق إلى السياحة فخرج في سنة ١٣٠٣ هـ وزار
الآستانة ومكث فيها سنة لقي فيها حفاوة كريمة من السلطان
عبد الحميد رحمه الله ثم قصد إلى الحجاز ثم إلى جاوه والهند ثم عاد
إلى زنجبار وولى بها القضاء ثم رجع إلى حضرموت سنة ١٣١٦ هـ
فابتهجت بلادها بمقدمه وزار بحريضة القطب أحمد بن حسن
العطاس ، وبعد أن طاف أكثر البلاد عاد إلى زنجبار واشتغل فيها

بالإفتاء والقضاء والتدريس والتأليف ومن مؤلفاته هذه الرسائل
الثلاث ورسالة الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج وحاشية على فتح
الجواد وأخرى لم تكمل على النصائح الدينية للإمام الخداد :

وتوفي رحمه الله في الثالث عشر من شوال سنة ١٣٤٣ هـ . اه
ملخصاً من ترجمته بقلم نجلة الفاضل السيد عمر التي ذيل بها رسالة
الابتهاج وطبعت بمصر للمرة الثانية في رجب سنة ١٣٨٠ هـ
(يناير سنة ١٩٦١ م) .

ييد كاتبه

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء